لعنة المُختلِس

(رواية)

بقلم /

أحمد شعبان الكاشف

قلمٌ ينبضُ بالحياة

obeikandl.com

obeikandl.com

ترى أمامك مفترق طرق

فأين تذهب ؟

واعلم تمام العلم أن ما تختاره

إما لإسعادك أو لشقائك

ولا تنس صديقي أن لك ربا عادلا

لا يعرف الظلم

فإن أخطئت ...

أنت الوحيد من يجني ثمرة عبثك

obeikandl.com

إهداء

إلى كل ذي ظهر أحناه حتى نرتقي من فوقه

إلى كل من عني بعبء لم يكن فوق كتفيه يوما

إلى كل ذي لب سلم لقلبه زمام الأمر فهوى ساقطا

إلى شخص أجهله ولا أجهل فيه القلب النابع بالمودة

إلى فتاه ماتت في سبيل قلب ظنت يوما أنها تملكه

إلى فتاه أحبت فهامت ثم أخفت فنالت

إلى أم دفعت حياتها ثمنا ليحي أبنائها كراما

إلى كل أم كانت لأبنائها كل شيء

إليك يا أماه ...

إلى أبطال هذه الرواية من بقي منهم حي ومن وافته المنية

إلى فارس و فهد و عزة وهاجر

إليك يا من ترى هذه السطور وأنت لا تعرف عن كاتبها شيء .. أي شيء ..

ولكني أشهدك أمام أسماء هؤلاء أني بلغت ووفيت ....

obeikandl.com

مدخل

دعني ... بدايةً ... أخبرك بسر صغير قبل أن تتوغل معي بالأحداث الثقال

سري الصغير هو أن ما بين يديك من أحداث أملت على الكاتب كتابتها لا العكس

ما كان له الخيرة في أمره أن يضع ولو بصمة بأي شيء

فكل شخصية ممن ستقابلهم لها أخرى موازية بعالمنا

ولكن مع ببعض التغيرات البسيطة في الأسماء فأنت لا تريدني أن أقاضى على أية حال

عرفنا عن اللص أنه من يسلب الناس أشيائهم أما مختلسنا فهو يسلبهم أمل البقاء بهذه الدنيا فيعيشون كالموتى دون العيش خاصة وإن كانت غزالته صغيرة السن لا تقوى على النهوض إثرها

تأتي الريح يوما بما لا يشتهيه السبع فيصير المختلس فريسة ويئن أخيرا قلبه لسوط عابر سبيل ما عبر إلا وقد صاد منه جزاء كل فرائسه

و لأن هناك بالسماء رب عادل فلا يخلد الظالم أبدا في النعيم وإن طال ما نابه فيه فسيأتي يوما فيتجرع من كأسه لعنات

لعنة المختلس مزيج غريب بين شيء ونقيضه

بين حب و كراهية

بين اعوجاج واعتدال

بين بلاهة و دهاء

obeikandl.com

بين عقاب و ألم

ودعني أسطر لك بعضا عني (كاتبها)

إني من تردد كثيرا قبل أن أدون لك سطرا واحدا من هذه الأحداث

ففيها ما أرق ليلي و أذهب عني النوم شهورا

لذا فكم مزقت أوراق تلك اللعنة (الرواية) بما تحمل من مآسي وهجرتها شهورا مغضبا

ولكن القلم يعود و يأبى أن يكتب في ما هو دونها

وبتلقائية يكتب اسمها (لعنة المختلس)

أقر لك صديقي أنه حتى تصل لك وريقاتي تلك في هذا اليوم أن هناك من انتهت حياتهم حتى تدرك أنت هذه الحياة فلا أرى لعنتي عمل أدبي بقدر ما هي حياة ستعيشها بكل ما فيها

هناك من تعبوا وكلوا حتى تدرك أنت العظة و لا تقع في نفس البئر العميق فلترقد أجسادهم بسلام مطمئنة فوق الأرض أو بين ثراها

و أعدك عزيزي القارئ أنك لن تغادر هذه الوريقات القصار إلا وقد دمعت عيناك حزنا وأقل الإيمان أن يرق قلبك لهم وما حدث معهم

وإن غادرت أحداثها صفرا فلك منهم الدعة والسلام ولتدعو لهم جميعا أن يتغمدهم الله برحمته

ولا تخف عليهم صديقي فهم .. وإن غشى رفات بعضم التراب .. أحياء ما حيي القلم بين اصبعي ...

obeikandl.com

بين طيات التاريخ

في ظلمة ليل سوداء قمر لامع في سمائه يزين الأرض نوره والشوارع تلفظ من بقي من الناس ومن بقت به يقظة من المتسامرين ليلا وأولئك الذين يهيمون شوقا لأقرانهم طالبين العون من النجوم وطلاب ينفقون الليل جِدا وكدا وعمال لاهثين في أرزاقهم والمناجين لربهم قياما

فلندخل احد تلك البيوت الصامدة في هذا الحي الريفي

خطوات مضطربة في الظلام

أخذتها عزة نحو الحمام لتتوضأ واستعدت للقاء ربها اليومي

فهي اعتادت أن تجعل بينهما موعدا خاصا ... لربها وفقط ...

هو من يوقظها قبل الفجر بساعة لتنفق ما بقي من ليلها فيه فتنعم بلذة لا ينعمها كثير من البشر

لا تعلم كم تقرأ من القرآن الذي حفظته عن ظهر قلب ولا كم تسجد

كل ما تعرف عيناها ذاك النور الأبيض الخافت الذي يأتيها من شرفتها المغلقة بالكاد

و كل ما تعرفه وجنتاها هو الدمع المنهمر

فهي اعتادت أن تلجئ له في كل الأمور

فكيف لها ألا تفعل وغدا هو أول أيام امتحاناتها

obeikandl.com

فعملت ما عليها على أتم وجه ولم يبقى لها سوى توفيقه دائما النموذج الأمثل للجد والاجتهاد فمنذ صغرها ولم تعرف التدليل فتلك البيئة الريفية لا مكان للراحة فيها وخاصة أنها وأختها هما الأكبر من الأبناء فلا تراها في بيتها إلا وهي تعمل بأعمال الحقل أو المنزل أو تدرس

وعن في نهاية اليوم لا تعرف إلا أن تسقط رأسها على فراشها وتأن كالأطفال كلما زادت الأعباء

وفي مثل تلك الأماكن يمزق حنان وعطف الأبوين إربا لكثره الأبناء فيا لها من مسكينة تأن ليلا دون جليس

فلا يبقي لها سوى الذهاب إلى ربها تبثه حالها وكفى به من نصير

****

فلنتركها في خشوعها وبنا نعود بالزمن أكثر من عشرين سنة !

حيث كان كامل يعبر الشارع في المدينة متجها إلي بيت عمه

هو لم يعتد ذاك الصخب المزعج حتى توقفت قدماه أمام باب بيت العم فاستنشق الهواء ملأ به رئتيه ثم دلف إلى الداخل وطلب من عمه زواج من ابنته من جديد بكل وقاحة على الملأ

أطال الحاج إسماعيل سكوته فكثيرا ما طلب منه الصبر حتى يفاتحها بالموضوع فأسماء لم تتعدى السابعة عشر ولكن قال :

أوافق على أن تخطبها

حمد كامل ربه بنفاذ صبر وأخيرا وافق بعد إلحاح أشهر

قرأوا الفاتحة ووزع الشربات لأسماء التي لم يكن لها وجود !

عروسنا الجميل لا زلات في المدرسة و لم تعد بعد من منها وعندما عادت فوجئت أسماء بكل شيء

فتلقاها أختها الكبرى قائله :

مبروك يا عروسة

قالت أسماء بدهشة :

أي عروس

وما أحكم فم أختها الصغرى حتى حكت لها الأمر , ذلك بعد أن فضت الجلسة وعاد كامل إلى الريف مرتاح البال , فقد أحسن المساومة وابتاع العروس

أما أسماء فلم تفهم شيئا شاردة لا تعلم هل هذا جيد لها أم سيء ؟

إنها الفتاة الخجلة البريئة

كانت كصفحه بيضاء نظفتها مياه البحر ولكنها لم تسلم من شدة الأمواج مرت عام بعد عام مر و هي لا ترى ابن عمها هذا و لم تحدثه ولو لمرة منذ لقب بخطيبها

فلم تقابله مثله بالنسبة إليها مثل تلك الحكايات التي نرعب بها صغارنا ليلا فيؤرق نومهم .

هو مسافرا أبدا في جولة عمل خارج مصر كمهندس للبترول وكانت مهنته كنز عهدها .

اخذ يطوف في البلاد العربية في غربة مستمرة علمته السكون والصمت , غريب هو في تلك البلاد وليس من الصنف الاجتماعي فلا يجالس احد غير النقود والتي

obeikandl.com

صارت رفيقه الوفي الذي لا يتركه مهما كانت الظروف وأحس بالخيانة ستأتيه من جميع الجهات إلا من جهة المال

وهنا في بلادنا استيقظت أسماء فزعه من نومها حيث رأت نفسها تجلس بجانب كامل في يوم عرسهم .. تجلس وسط الجميع وتتمنى أن تبتلعها الأرض .. ترسل الابتسامات المجاملة هنا وهناك وانتهت الليلة وفض الجمع

فزفرت أسماء بقوة بالرؤيا و تحسب أن الأمر قد انبت فما كانت إلا بداية لعذاب جديد

وضع يده التي لا تعرف الرحمة علي يدها ثم قائلا :

بنا يا حبيبتي إلى المنزل

انتابها الفزع المخيف وهو يحملها إلى منزله بينما هي تصرخ فترى من يسمعها

لتفق بعد كل ذلك لترى نفسها على فراشها تزيح الغطاء وتجد قدماها تقودها في سواد هذا الليل إلى حجرة أبيها فلماذا الذهاب بمثل تلك الساعة السواء

لم تزر تلك الغرفة تحديدا منذ أشهر .. فهي لم تدخلها مذ خلت لوفاة أمهما قرابة العام ..

تتسع الغرفة على أبيها وجيدا لا يسكنها غيره بعد أن وارت بسمته التراب .

وقفت في ريبة تتأمل وجه أبيها الحاج إسماعيل النائم .. الذي انفق عمره لها ولأخواتها الأربع فأحسن التربية ..

اقتربت أكثر لتتفحص الأخاديد التي حفرها الزمان في وجه أبيها

تؤكد أنه بلغ من العمر أخره

هي والشعرات البيض التي تعلو رأسه فتتوجها كما الإكليل

obeikandl.com

قطع ذاك الصمت صوت اصطدام مفاجئ كادت أن تسقط أسماء أرضا على أثره لولا أن لاحظت عكاز أبيها أرضا يعلن حضوره في هذا الموقف العصيب

تنهدت ثم عادت تتأمل هذا الوجه تبحث بين شقوقه عن إجابة لسؤالها :

_ لماذا ؟

وكأنه سيجيب ولكن احد أخر هو من ناب عنه سمعت صوته يدوي في أركان عقلها :

ابنتي !

كبرت وأمك قضت نحبها ورحلت وتركت لي من البنات خمسا

لا استطيع أن استأنف المسير وحدي فلكل واحدة منكن مطلبها وعبئها الثقيل

وانظري إلى أنحاء البيت

إني لا أرضى لكن يا أميراتي أن تعشن في مثل هذا البيت الخرب

فرت من عينها دمعة دون الاذن وهي تستوقف الصوت قائله :

ولكن أبي لم أنا ؟ وأنا ...

قاطعها قائلا :

نعم أنت فلك حظا من الجمال وفيرا وابن عمك هذا سينقلك إلى مستوى أرقى بكثير

أيعجبك هذا البيت التي لا يسعنا معا ؟

نعم أنت في السابعة عشر من عمرك

obeikandl.com

ولكني أريد أن اذهب لربي وأنا مطمئن عليك يا ابنتي الغالية .

هنا فرت الدمعة من عيناها وهي تتخيل الحياة دونه .. ناسية أو قل متناسية أمر تلك الزيجة ..

فكم عانى هذا العجوز وأحنى رأسه كي يوفر لهن حياة مرضية إلي حد كبير

لم يكن أب فقط كان بمثابة كل شيء في حياتها الصغيرة المحدودة .

ولأمر ما سقط في عقلها أمر الزيجة فقالت :

أبي ! إنه تعدى عقده الثالث من عمره وأنا لم أتخطى السابعة عشر

وهو من أهل الريف وأنا لا

وحتى انه لم يجالسني مرة واحدة منذ تلك الخطوبة اللعينة !

لم تجد ردا يشفي جراحها فاستدارت وقد أدركت أنها أطالت الوقوف

خاب ظنها وها هي عائدة إلى مضجعها باستسلام

عاد كامل وهو على عجلة من أمره أن يتم الزفاف

اخذ يسابق الثواني حتى يعد من بيته الذي ابتاعه في المدينة لتكون قريبة من أبيها ويبتعد هو عن الريف وما فيه من سذاجة

obeikandl.com

فهو رأى بالخارج عالم مختلف تماما عالم خالي من الطيبة فلا مكان بها للضعفاء ولا احد يحمل احد عند سقوطه تماما كالغابة

وبتلك العجلة .. في إعداد الزفاف .. كان لا يريد أن يفسد أحد عليه الأمر بعد ما انفق من مال على الهدايا التي كان يرسلها إليها أسبوعيا

غافلا أنها لم تفتح أيا منها فكل ما فيها رافضا إياه رفضا باتا ولم يدفعها لذلك غير الوفاء والبر بأبيها

بالفعل ما هي إلا أيام وكان البيت بانتظار أن تزينه العروس الجميلة

ذهب إلى بيتها أخيرا وهو يشعر أن الأمر قد حسم لصالحه وهناك اتفق أن يكون الفرح في الخميس القادم ونلك المرة كانت الأولي التي يطلب فيها أن يجلس مع عروسته

فوجئت أسماء عندما أخبرتها أختها الصغيرة بطلبه

لم تعرف ماذا تفعل ولكنها حسمت الأمر و خرجت تمشي كفاقدي الحياة فهي في عالم أخر غير عالمنا

تترقب العيش مع كهل كهذا ؟

كادت أن تسقط في الغرفة لتشتت ذهنها بين واقع مرير وخيال منه أكثر

في النهاية تتمسك بقبضة أبيها طالبة منه ألا يتركها له فهي خجلة قليلة الخبرة بعالم الرجال

رفعت عيناها بنظرة خاطفة وسألت نفسها :

_ من هذا ..؟ لم يكن كذلك قبل سفره

تنحنح أبوها ليغادر تاركا ابنته التي أفزعتها المفاجئة وهجر أبيها لها و لم تجد نفسها إلا وهي تسمع :

كيف حالك آنسة أسماء!

_ بخير

فقال مظهرا الألفة أو متظاهرا بها :

كم كنت انتظر اللحظة التي أحدثك فيها بعد غياب طال سنين

أسماء ردا على محاولته لإثارة الود :

_ أشكرك لسؤالك يا ابن عمي

رفع حاجبيه وقال بنبرة معاتبه :

ابن عمك وفقط

_ أجل وفقط

كامل محاولا تدارك الأمر :

إذن سأدع الأيام تثبت لك أني أفنيت شبابي لك

أسماء بلا مبالاة :

_ وهل كنت تعرفني أو الآن حتى

كامل بطيبة مصطنعة:

سأدع ذلك أيضا للأيام

obeikandl.com

وهل كثر من بعهده يفي ! كذلك قالت محدثة نفسها

عاد أبيها الحاج إسماعيل مقاطعا لينهي أول مناظرة يشهداها .. أو قل أولى جولاتها.. فلازال لهم من الجولات الكثير والكثير

تم عقد القران بعد فترة وجيزة

و فيه ترى أسماء ترتعش يدها وهي تنظر المكان المخصص لتوقيعها وكأنها تُوقع نفسها بيدها في أكبر مأزق بحياتها

و هل بيدها غير ذلك ؟

علمت مراد أبيها أن يفرح بها

وهل هذا هو الفرح ؟

قد وقعت على أي حال و مضي الزفاف روتينيا ومن بعده مضت الأيام وهي تنتظر من كامل أن يعبر عن حبه أو امتعاضه

ولكن لا شيء من جانبه غير الصمت التام فهو علاج لجميع مشاكله .. فأقبح بالصمت القاتل للمشاعر !

أنجب منها كامل ولدين فارس وحسن رغم تأخر الحمل سنوات فكان لها بالطفلين ملجئها ودافعها الوحيد أن تظل حية

بيت فيه أم وابنيها ورجل ليس لنا إن نضيفه عليهم إلا في العدد .. فما أطيبها !

قضت شبابها بجانبه حتى ذبلت نضارتها من معاملته معها وابنيها

obeikandi.com

وأراد كامل ببيته كصف دراسي هادئ يطلب الصمت دوما وعدم إحداث أي نوع من الحركة .. وعلى ذلك لم يعرف أحد الأبناء تدليلا ولا مواساة فعاشا في صمت يغلفه أنين

****

obeikandl.com

طفولة بين سذاجة وسوط

أفاقت عزة في سجودها على صوت المؤذن معلنا عن أذان الفجر

انتهت من صلواتها لتبدأ يوما جديدا من الأعباء التي أثقلت ظهرها حتى .. اليوم.. يوم امتحانها

كانت في دراستها تعلم أن مهمتها ليست بقدر كبير من السهولة

وما لبثت أن أتمتها راضية عن أدائها حامدة لربها على توفيقه وهي في انتظار النتيجة

****

هنا فارس الذي بلغ من العمر قرابة العشرين عام من العزلة والصمت ولم يعش فيها كغيره طفولة بريئة مما دفعه ألا يكون اجتماعيا قط

يرى جهد أمه أن ترسم البسمة الزائفة علي وجهها رغم كل شيء ولكنه يجد فيها طيبة غريبة وذلك يمكن لقلة خبرته مع البشر فهو ينتظر اليوم الذي يفهم فيه هذا الغموض وتكشف الستار عن سر هذا الطابع

لم يجد لنفسه في تلك السنون غير القلم صديقا يصور به كل ما يتقلب في ذهنه على فراشه ليلا وهو ممسيا بالبكاء كما عادته كما الفتيات

سبب ذلك والده الذي يعنفه صارخا دوما :

إلى متى سنعاملك كطفل ؟ اذهب إلى غرفتك لا أريد رؤيتك أمامي

فيصدع لأمر أبيه مستسلما

ومن ثم يخاطب كامل كما العادة زوجته أسماء قائلا:

وأنت كفي عن تدليله

فتجيبه :

_ دعه يعيش سنه فهو أصبح شاب وأنت من صغره تغلق عليه باب الاختلاط باقران له

قال كامل بغضب :

ليس هناك أصحاب أمنهم على ابني

_ ولكنك تدمره نفسيا واجتماعيا هكذا بسوطك

لن تفهميني يوما اصمتي ولا تحاولي الحديث في ذلك مرة أخري

فكثيرا ما حاولت إقناعه أن يغير معاملته للصغيرين ولكن لا تحصل منه على غير الوعيد والتهديد .. وفي الغرفة حيث فارس يقلب النظر فيما حدث بلا طائل

ذلك يعلق بعقله عن تلك الطفولة المؤلمة والتي يصعب أن تسمها طفولة

ويعلق في ذهنه أيضا أن ذات يوم ..وهو يقارب الخامسة عشر .. ذهب فارس مع فهد للعب وهذا الفهد قد تعرف عليه مؤخرا علما بأنه من أبناء سنه وعلى اختلاف شخصيتهما كان يأمل أن يكونا أصدقاء وعندما علم أبيه بهذه الصداقة الغير معتادة لابنه ثار غضبا وحدد للصبي موعدا ليعد قبله مع العلم أن الموعد يكفل بالكاد أمر الطريق

مرت ساعات اللعب وفارس في الطريق إلى بيته ينظر في ساعته غير مصدقا أنه تأخر على موعد أبيه فبدا عليه أفظع علامات للفزع

عاد إلى البيت وكان من أبيه ما كان من الاعتداء بالضرب والسب :

أيها الشاب اللعين كم أنت عبء على أبيك

يطعمك و يكسك وما ينل منك غير العقوق

فر فارس منه إلى غرفته مختبئ من سوط أبيه و رفع قلمه المغيث وخط تلك الكلمات بتأثر مظلوم وبعقل يافع :

لماذا أبي تخلق بيننا حواجز ومسافات ؟

فلا يشعر احد بوجودك إلا للعقاب ولا اذكر حينا رأيت بسمتك

فما أطول غيابها !

ولم تخفيني عن العالم ولا تريدني أن أراه ؟

ولم ولم ... ؟

إذن فليسامحك الله

فأنت الحاضر كما الغائبين

****

رن الهاتف في بيت عزة فأسرعت نحوه هربا .. ولو لبعض الوقت .. من أعباء المنزل التي لا نهاية لها

_مرحبا خالتي كيف حالك ؟

بخير يا صغيرتي كيف حالك أنت أيتها المشاكسة ؟

obeikandl.com

_ لم أعد كذلك .. بابتسامة ..

بل وستظلين مشاكستي الصغيرة ... ولقد حصلت على درجات جيدة هذا العام

_ وما الجديد في ذلك

الجديد أنك حصلت على المركز الثاني على محافظتك

_ أصحيح ذلك يا خالتي ؟

أكذبت عليك يوما ؟

_ .. بعد برهة من السكوت .. إني في غاية السعادة لسماع ذلك ولكن أريد هدية منك نظير هذا التفوق

هدية ماذا يا أيتها الفاشلة إلى أين ذهبت الدرجات الأربع تلك

_ لا أظن أني أخطئت وخسرتها

وما هذه الثقة ؟

_ بالتأكيد فهذه أنا دوما لا تلهيني بكلامك هذا أريد هديتي

أمري إلى الله ماذا تريدين يا أيتها الثانية ؟ .. بخبث ..

_ لا تذكريني بذلك لا اطمع في أكثر من زيارة

أهذا و فقط ؟

_ نعم وفقط

obeikandl.com

ومن عندي خير منك بالتأكيد سآتي ولكن سأنظر أي الأيام تناسب فارس لكي يأتي معي هو وحسن

_ أرسلي عني لهم السلام

سأفعل ولكن لا تنسي سلامي كذلك

_ بالتأكيد يا خالتي فكل من بالمنزل سينتظر قدومك على أحر من الجمر

قالتها عزة مودعة خالتها اسماء

****

هل من ببيت عزة لسماع الخبر والكل متأهب لانتظار تسليمها مكافئتها من المحافظة وتكريمها على أحر من الجمر

ولكن لم ينعكس تفوقها على معاملتهم لها فلازالت تعمل بالبيت كخادمة دون أي شكوى أو علم بأن ما هي فيه لا يتحمله بشر

****

انسجم الصديقان فهد وفارس
ولكن وجد فارس نقاط في صديقه لم يتبين لونها أهي سوداء أم بيضاء

عرف أن صديقه له من القصص مع الفتيات من جيله بل وغيرهن حكايات لا حصر لها فلا يكاد يخفى عليه اسم فتاه تمر في شارع يسلكه

وإن قابل من أعجبته يوما لا يتركها حتى يكتب اسمه بقلم لا يزول أثره في قلبها وليس ذلك لأنه فريد الجمال فحسب

ولكن لأن لديه مفاتح قلوبهن فيعرف كيف يدخل أيا منها حين يروق له وهن كثر في مثل هذا السن

أما صديقه فارس فلم ينوي مصارحته بأي اعتراض فهي تعتبر الصداقة الحقيقية الأولى له بعد عزلة دامت سنين ولم يرد في خاطر فارس أن هذا الاختلاف بينهما سيقل يوما وأحدهما سيقترب من فكر الأخر

ولكن من الذي سيفوز في هذه الحرب الباردة بينهما ؟

أحدهما هادئ الطباع حسن الخلقة أبيض البشرة قصير الشعر رث الثياب رصين القول قليل التفوه .. وعن الأخر فليس فيه من الهدوء حظ ولو داني و بملامح وبشرة عادية لا يلفت الناظر شيء بها

ولندع الأيام تبوح بسرها فهي خير مبتلى لمعادن الخصال

****

وقفت أسماء خلف الكرسي الذي يجلس عليه فارس وهو منشغلا بمطالعة أحد الكتب

أخرجته من تركيزه بلمسة مفاجئة فارتجف جسده لأثرها غير مدرك سببها فقال بتلعثم :

ما .. ماذا هناك ؟

سمع صوت أمه أسماء من خلفه

_ أ لازلت جبانا ؟

لست كذلك

_ وقلبك الذي كاد يخرج من مكانه .. رافعة أحد حاجبيها ..

من قال لك هذا ابنك صار رجلا كبيرا

_ لست لأنك أصبحت أطول مني قامة أنت دوما طفلي المدلل الصغير

وماذا هناك الآن ؟ .. مراوغا بالحديث ..

_ اعد نفسك للسفر إلى البلدة فقريبتك عزة تطلب رؤيتي

وصلني خبرها فيا لها من متفوقة

_ ألانك فاشلا تظن الكل كذلك ؟ .. بمكر ..

لست كذلك

_ سوف نرى يا فالح

مستعد للسفر الأسبوع القادم أن شاء الله .. محاولا تغير دفة الحديث ..

_إذن بقي لدينا 4أيام فقط

هكذا انهت أسماء الحوار بحسم

****

وقف حسن في الشرفة ينظر بابتسامة مصطنعة إلى الأطفال في الشارع وهم يلعبون

كم يتوق إلى تلك الضحكات التي لم يذق لها طعما فلم يعرف منذ مولده غير أخيه صاحبا ولكن أخيه لم يكن ندا له

هو يكبره بما يقل عن العقد بقليل وهو دائما في عالمه الخاص يغلب على وجهه العبوس أكثر بكثير من الابتسام والعبث

obeikandl.com

أما الصغير حسن في الحادية عشر من عمره مشاكس مرح وكم انفق الكثير بسبب تلك الروح المرحة والتي كانت مصدر هم للأسرة جميعا

والأب كامل لا يريد أي نوع من الحركة والعبث في بيته وإن كان بدا من الكلام فليكن همسا ! وصغيرنا هذا متمرد مشاكس فكم ضرب كي يكف عن شقاوته تلك وما يزيده النهر إلا تمردا على عادات هذا البيت وكل أبيه من المحاولة حتى ترك له مجال كبير من اللهو وعلى الرغم من هذا الخلاف .. بين الأب وصغيره .. فقد أعجبه الصبي بروحه المشاكسة تلك

و بينما الصبي حسن يقف في شرفته أقبلت أمه من بعيد وقفت قليلا من خلفه دون الحركة لتدرك ما به ولم تحتج الكثير من الوقت لتفهم سر شروده أقبلت عليه وباغتته بصيحة خفيضة مرحة في أذنه فزع الصبي لأثرها وأدار جسده ملأ وجهه الابتسامة لرؤيتها

وقالت الأم أسماء بحنان :

لم أنت مختبئ هنا بعيدا عني ؟

لم يجب ولكنه نظر تجاه الشارع فأدركت مسعاه وقالت بشفقة:

هون عليك غدا تخرج لترى الدنيا وما بها ولا أظنك ستحبها

فليس أهلها جميعهم بطيبتك صغيري

فمنهم الذئاب والذين طغوا عددا فلا تكاد لهم إحصاء

ولا تحزن من أباك فهو يخشي عليك منهم

قال باستخذاء صبي حديث السن :

ولكن لا أعرف الناس إلا في المدرسة إضافة أن من فيها يجتنبني

قالت بحلم :

اصبر فقط يا صغيري وغدا تمل من الناس

****

obeikandl.com

قرع على باب القلب

بينما فهد يعبر الطريق أبصر فتاه أحس أنه يعرفها منذ أمد .. فتلك هي التي طالما رآها في منامه كأميرته تخطف قلبه وهو من لا فلب له وهي الآن تمشي مقبلة عليه

حاول أن يلفت انتباهها فصب نظره في عينيها الزرق وإذا بها لا تهتم وتكمل حديثها مع صديقتها التي تسير جوارها .. متناسية ..

لم ييأس وزاد نظره حدة وهو يكاد يأكلها بعينيه بل واعترض طريقها حتى يضمن رؤيتها له و رسم ابتسامة مكر في انتظار مجيئها وإذ بها تلاحظ تلك النظرات التي لا تخطئ فهمها أي فتاه فتورد وجهها

نهرت صديقتها وغيرت مسارها تماما وهرولت مسرعة .. بينما فهد وقف مكانه في شرود ينظر إلى الفراغ الذي كانت تحتله

وإذ هي تسرع مع صديقتها تحثها على السير فتوقفت صديقتها لتقول بتساؤل :

ما بك يا هاجر ؟

خرج صوتها بالكاد سمعته :

لا شيء

و بعدما وقفت صديقتها قالت :

لن أتحرك من هنا إلا عندما اعلم ما الأمر

لم تجد هاجر حل أخر للهروب ظانة أنه يتبعها

فأجابتها باستسلام :

openkandi.com

إنه هذا الفتى هناك ونظراته الغريبة

قالت صديقتها :

أي فتى

قالت هاجر :

هذا الفتى ذا المعطف والذي كاد أن يقطع طريقنا قبل أن ننعطف

نظرت حيث تشير بحثا لترى فهد يلوح لها بكلتا يديه وهو يضحك عابثا فلم تبد أي من الفتاتين ردا .. أو قل ردا ظاهرا ..

وأجابت صديقتها :

اجل أتقصدين فهد ؟

نظرت .. تلك الصديقة .. نحوه وهو على الجانب الأخر من الطريق ولازال يقتحم حديثهما ببسماته السخيفة

و هاجر فما ترك نظرها الأرض وما غادرت الحمرة وجهها ولازالت كذلك وهي ترد بعجب وصوت بالكاد يخرج:

أتعلمينه ؟

سأحكي لك قصته لاحقا ولكن دعينا نلحق موعدنا ولنترك سخافته هنا حتى لا نلفت الأنظار أكثر من ذلك

وقف فهد يتساءل أهذا ما يسموه حياء أم عفة أي من تلك الأسماء التي بلت مع الزمان فلا يفرق الناس بينها وقد تاهت معانيها

obeikandl.com

يدور داخله أحاديث كثيرة في صراع لم يدخل هو فيه وكان مضمونه :

انك عرفت من الفتيات أكثر من ما تقوى ذاكرتك على الإدراك

فمنهم من كنت ترضي ومنهم من مال إليهم قلبك وكثير منهن فاتنات

ولكن لم تلك الصغيرة هي التي لفتت نظرك

هي جميلة ... وما ذلك بجديد !

وانتهى من كل ذلك أن شعر بها بشيء يجذبه وهو من لم يعرف يوما الخضوع ولكن هذا النوع نادرا ما مر عليه .. فابتسمت شفتاه وجهر بقوله :

ولم لا أضمها إلى قائمتي الكبيرة ؟

****

وقف فارس في شرفته بوقت متأخر كعادته يحب سكون الليل وأن يرى العالم خاليا له وفقط حيث أنه يقدس تلك اللحظات التي يطلق فيها العنان لخياله فليأخذه بعيدا عن هذا العالم يغرق في تفكيره واغلب تفكيره حينها يحثه اغلب تفكيره يقوده إلى التأمل بالطبيعة البشرية

ما يحملها على الاختلاف بهذه الطريقة الشاسعة

يدرس بنفسه علم النفس البشرية وتحليلها ثم يمر على شخصيات عدة بحياته ويلعب معهم هذه اللعبة .. لعبة تحليل الانسان وتجريده .. وأنى له الدخول إلى باب أوصده القدير ولا علم لغيره به

obeikandi.com

ومع العبث الطويل والخلوة الأطول ظل يعبث مفسرا ما وراء الكل من نيات خبيئة ومن خصال دفينة .. وقد خلت ذاكرته من الفتيات إلا واحدة والتي تقلب دائما طاولة تحليله للبشر شخصية لم يرى لها نظير

كم هي عجيبة دائما تأتي بالشيء ونقيضه في ذات الوقت ؟

وذاك ليس حصيلة موقفا فقد عاشا معا فترة تطغي على ذاكرته فلا يذكر شيء قبل معرفته بالفتاة وهي من عاصرت طفولته وشبابه حتى لحظته هذه

أمامها يبدو هو ككتاب مفتوح تقلبه كيفما تريد وتعرف كم يعزف عن كل الفتيات بل ويشمئز منهن وكم هو في حاجه إليها فلا يستغني عنها في حياته هي المصدر الوحيد للترويح عن نفسه وإخراج ما بداخله من كبت هي مصب لأنظار الجميع والآن وقد شبا و لم يعد يتاح لهم التواصل المباشر كما السابق ففضلا مراسله بعضهما عبر احد مواقع التواصل العصرية

****

أوقفت هاجر صديقتها قائله :

لن ادعك تذهبي إلى أي مكان حتى تحكي لي قصه فهد هذا وكيف عرفتيه ؟

صديقتها باستسلام :

إذن سأحكي فأنا لا أجهل فيك الطفلة اللحوح

منذ أشهر طويلة لمع نجم هذا الفتى ولم ينطفئ بعدها و على الرغم من شكله هذا لديه من الحبيبات عدد لا حصر لها ولا يفرق بين كبيره وصغيره ولكن الغريب أنه لا يجبر إحداهن على حبه وهو يعلم عنهم ما لا يعلموه عن نفوسهن ولكن ليت الأمور تسير على هوانا هو كان سبب خلاف بين صديقتان كلتاهما مالت إلى أخري عند رؤيته مارا في الشارع قائلين بهيام :

هذا الوسيم المار هناك حبيبي

مما أشعل الثورة في نفسيهما فانصرف كلتاهما عن الأخرى ومع مرور الزمن كشفت لعبته قد كان خفية أول الأمر فمعظم تلك اللقاءات الغرامية يسترها صندوق الرسائل على صفحته الخاصة والغريب أن ذلك .. انفضاح أمره .. لم يؤثر على إقبال الفتيات عليه فهن يقبلن صداقته وكل واحدة منهن لا يخفى عليها أنها واحدة ضمن عدد لا حصر له

ردت هاجر :

إذن هو تاجر للقلوب

قاطعتها صديقتها مكمله :

وليس هذا فقط بل ذلك جعله يكون صداقات لأشخاص لا علم له بهم من قبل فقط ليساعدهم على التواصل مع إحداهن فهو أيضا فاعل للخير

قالت هاجر وعيناها تلمع معلنه التحدي :

سنرى من منا سينتصر أنا أم هو

****

obeikandi.com

أم أعياها الزمان وجب ينبت في القلوب

كانت أسماء تجلس بعيدا عن الكل وتكتم صرخات تندفع اندفاعا من داخلها فما عاد لها الطاقة لتحمل النير الثقيل والدمع من عينيها يفر واحدة تلو الأخرى بلا حبس

تشعر في نفسها بكبش الفداء الذي يضحى به حتى يعيش أبنائها ولا حرج عندها في ذلك والوجع لا يبرح جسدها ولا الجرح يغادر قلبها الصغير هو ألم شباب قد مر مرور الرياح الخفاف

في غضون دقائق من الصمت القاتل تنبهت لابنها فارس خلفها قائلا بخبث :

_ ما بك يا قمر ؟

الأم أسماء بارتياح لرؤيته :

ما يجعلني كذلك هو رؤيتك يا بني

فارس بحمد:

_ دام لك الله الصحة والعافية يا أماه

الأم فارة من مصارحته :

فكيف إذن كان يومك ؟

فارس :

_ لا تغيري الموضوع أمي أنت لا تجيدين الإخفاء

الأم بيأس:

obeikandl.com

أبدا ليس إلا وجع بسيط في البطن ولكنه يزول عند رؤيتك عزيزي الوسيم

فارس بحنان:

_ إذا فلن أتركك وحدك مرة أخرى حتى لا يأتيك

اتسعت ابتسامتها وهي تشعر بالدفء في كلماته طالما غاب عن كلمات أبيه

فرد فارس قائما بدور أبيه الغائب :

_ ولكن لن ادعك هكذا بنا نذهب إلى الطبيب حتى يطمأنا عليك

واستطرد متسائلا :

أعرف أبي ؟

أسماء بغلبة على أمرها :

لم يعرف بعد لا أريد أن أثير في نفسه الهم ولا تخبره أنت

فارس بتفهم:

اجل فهمت ولكن أمي أريد أن افعل شيء أملأ به يومي بدلا من ما أنا فيه من فراغ

قالت بتساءل :

ماذا تريد بالتجديد ؟

فارس برجاء :

أن اعمل

عجبت أسماء وقالت :

obeikandl.com

كيف لصبي مثلك كل ذلك من الكتب التي تقرأها

أدرك مقصدها وحاول أن يغير مجري الحديث .. فسقط أرضا مستعد للقيام بالضغط وعد واحد اثنان ثلاثة ... عشرة

وهدأ من حركته ليقول :

ألا يكفيك هذا لأبرهن لك إنني كبرت

أشارت نافية والبسمة لم تغادر ثغرها فأكمل العد احدى عشر اثني عشر أربعة عشر .. عشرون ... ثم طلب الجواب من جديد :

ألا يكفي الآن كذلك ؟

أشارت بالنفي وهي تتابع الموقف في إعجاب

فارس وقد اسقط بيده :

ولكني لن أيأس واحد وعشرون ... خمسة وعشرون

ثم وقع أرضا يلتقط أنفاسه ... وقع أرضا ولا يقوي أن يعدل من وضعه وصدره الذي يعلو ويهبط بسرعة شديدة

كانت أمه تخفي ابتسامتها وهي تتابع حسن الذي جلس على ظهر أخيه وضربه بخفه قائلا :

تحرك أيها الحمار

جاراه فارس :

صحيح فأنت لم تقم بالمجهود الذي قمت به

obeikandi.com

قال حسن بطفولية :

كنت أتابعك وأنت تسرق في العدد أيها المخادع

ساد الضحك لدقائق طويلة ثم قالت الأم لافتة انتباههم :

لا تنسوا أيها الأولاد أن عليكم النوم باكرا فغدا سنسافر إلى عزة لتهنئتها

****

كانت عزة تؤدي أعمال المنزل فعلى صوت الهاتف فجرت إليه بخفة قائلة :

_ مرحبا

مرحبا حبيبتي أعدي نفسك غدا فأنا وأولادي سنأتي في الصباح

_ أحقا ما تقولين يا خالتي .. مجيبة في لهفة ..

أكذبت عليك يوما أيتها الثانية

_ كفاك يا خالتي تعبت من هذا الاسم .. بعبث قالتها عزة ..

ألست حقا الثانية أم أني مخطئة

وفجأة خطفت سماعة الهاتف من عزة وقال الخاطف :

_ كيف ذلك يا خالتي أ لأني في دراستي لا يسأل عني احد

قالت أسماء :

وكيف ذلك يا عبير ؟

obeikandl.com

إني آتية غدا لأراكي يا حبيبتي وأنت فقط من بدأتي الدراسة باكرا على غير العادة ... فلم أحب أن أزعجك بسؤالي

_ ماذا ؟... غدا ؟ ... كيف ؟ .. يا ويلي أنا دائما أخر من يعرف

سحبت سماعة الهاتف من عبير لتعود إلى عزة وقالت بود :

كلنا هنا في الانتظار على أحر من الجمر

****

خطفنا الدهر إلى أيام منكرات ذهب فيها بريق الأشياء فمن منا ينسى نشوة استلام رسالة من طير زاجل أمين أو أقصوصة ورق دست في طريقه من عاشق ولهان ... وأما الآن وقد صار الأمر بواحا للجميع في عصر شبكات التواصل ذهب عن كل شيء صداه الخفي

وعلى شبكة التواصل الاجتماعي Facebook ليلا كتب لها فارس :

_ مرحبا سارة

أين اختفيت يا فارس منذ يومين و لم تتحدث قط فيهما

_ وهل سألتني طوال اليومين ولم أجبك ؟ .. خط ساخطا ..

ما بك ؟

اظهر ابتسامة سخرية وهو يكتب :

_ وهل يهمك الأمر حقا ؟

ألست أختك

obeikandl.com

_ وأي أخت تنصرف عن أخيها ما انصرف عنها ؟ وأي أخت تنسي أخيها وتهجره إن غاب سؤاله ؟

أرسل سؤاله متأثر به وهو يعيد النظر بما قاله

طال صمت هاتفه لدقائق فعاد إلى شفتاه بسمة الإنكار ثم ظفر طويلا على كل ذلك التأخير الذي يبغضه ولأنه لا يريد قطع الاتصال بينهما كتب لها :

انسي ما قلت إن كنتي أعطيته انتباه في الأصل

و هي فأدركت أنه هناك ما يخفيه فلا يعلمه أحد مثلها هي و علمت كذلك أنها أمام حرب نفسيه جديدة معه فكتبت بعد صمت طويل بسذاجة :

أنت لست فارس الذي اعرفه فاخبرني ما بك ؟

_ لا يهم .. خطها مستنكرا ..

وليغير مسار الحديث كتب :

_ أتعلمين أني رأيتك اليوم بالشارع

ما بك يا فارس

_ .. طفح به الضجر .. أقول لك ثانيا لا شيء ولكنك كنت اليوم غريبة عندما رأيتك تمرين أمام البيت

هنا توقعت ..ببراءة طفلة .. أن يثني فارس عليها وعلى مظهرها الجذاب في زيها الجديد ولكنه هتك كل ما دار بعقلها :

_ سارة لم لا تجيبي ..اسمها فقط يكفي لزلزله قلبها بين ضلوعه ! ..

أسفة شغلت عنك

رفع أحد حاجبيه منكرا ما قالته واخذ نفسا عميقا ثم أرسل عاصفته بعد الصمت :

_ أهذه سارة التي رأيتها نهارا ؟ إذن لم كل تلك الزينة ؟

هنا خاب ظنها وفهمت أنها ستدخل توا في جدل عقيم معه أجابت :

وما الغريب الم يعجبك زيي الجديد الذي اشتريته البارحة ؟

صعق من برودة هذا الرد ولكنه تعلم الصبر :

_ اجل لم يعجبني فهو يظهرك لا يخفيك و الزي الشرعي .....

.. قاطعته بضيق .. اعرف حفظته عنك لا يشف ولا يصف ولا يميز فتاة عن غيرها

_ إذن لا تنكري أنها ليست المرة الأولى التي أقول لكي فيها هذا الكلام

زفرت بضيق فهي تعلم ما سيقول ولكنه لم يطل الحديث هذه المرة واسطترد:

_ تعلمين إني كثيرا ما نصحتك ولكن لا ارضي أن تكون هذه هي أختي

فأمامك الاختيار إما أنا وإما هذا التكشف و الانحلال

نظرت إلى الرسالة فيا لها من رسالة هي تحب لفت الأنظار وأن تكون محرك الأحاديث ولكن ماذا تفعل في هذا الموقف الحرج ؟ فهو ليس لها مجرد جار أو صديق أو أخ

كل تلك اللحظات تمر دون رد وفارس قد قتله الانتظار وبعد مدة أنار الهاتف ليسرع إليه فلا يجد إلا جوابها هذا :

إن شاء الله

obeikandl.com

فيا لها من حروف مضجرة له ..فكل في مشيئة الله كائن .. فكر وفكر كيف السبيل لإقناعها كيف ؟ فقرر أن يعد سؤاله

_ سارة ! ... أريد ردك فمن تختاري ؟

****

ومع أذان الفجر كان فهد يقلب هاتفه في ضجر وضيق .. فتح أول محادثة كتب فيها اسم المتحدث دعاء أحمد وأخذ نفس عميق قبل أن يلتف حول فريسته كما الثعابين تنفس سمها

مرحبا دعاء

_من معي

ألا تعلميني

_هل لي أن أعرفك من اسمك المستعار ..Sad smile.. ؟

اندهش منها كيف لا تعرف حسابه الخاص الذي ذاع خبره للناس فاستكمل متابعا :

أنا من ارق منامه من التفكير بك

_ ماذا تقول .. !

احبك

_ ماذا .. ؟

obeikandl.com

لديك الحق ألا تصدقيني ... أراك غدا لأثبت لك كم احبك في الثامنة في المطعم أسفل مبنى الساعة

ضحك فهد بانتصار ثم اخذ يبحث عن ثاني الضحايا هذه الليلة .. فتح محادثة جديدة كتب عليها اسم bad girl ثم جمع أفكاره كيف الطريق أنها ليست بالضحية السهلة وبعد تفكير ومكالمة اجراها لإحداهن ظهر على ثغره ابتسامة شر ثم عكف على هاتفه :

مرحبا زينب

_ من وكيف عرفت أني زينب

وهل تخفى الشمس عن كواكبها ؟

فإن غابت أخذت معها الحياة

_ لا افهم

كيف لا تفهمين أنك النور الذي أضيئ به طريقي ؟

_ لو لم تقل من أنت سأحذفك تماما من عندي

لا أرجوك فانا بذلت الكثير لكي أحدثك

_ وماذا بعد

وسأبذل الكثير حتى أرضيك

_ وما المطلوب مني أن افعله

obeikandl.com

عليك أن تتركي لي نفسك ولن تندمي

_ وما مكسبي ؟

سأخبرك من الذي تسبب في إحراجك في فرح صديقتك هالة

_ ماذا ؟ ... كيف عرفت أن هذا يشغلني ؟

قلت لك انك نوري فلا أحب من يحجب عني شمسي

_ أريد أن اعرف من تكن أولا

بغاية البساطة انتظرك غدا في الثامنة في المطعم أسفل مبنى الساعة

وهكذا تغلب يومها على عدة فتيات واقنع كثير منهم بالمقابلة في المكان ذاته وفي الوقت ذاته فترى إلام يخطط هذا الشقي

****

هاجر مستغرقة في النوم على سريرها دقت الساعة معلنه أن الليل قد انتصف وإذ بهاتفها يصيح فسريعا ما ظهر على وجهها الفزع ورفعته في ضعف قائلة :

_ مرحبا صديقتي

مرحبا هاجر أعد لك غدا مفاجئة

_ لا اخشي إلا من مفاجآتك .. يا ترى ما هي هذه المرة

فلنتقابل معا في المطعم بمبني الساعة في الثامنة

_ ماذا ؟

اجل كما أقول لك

obeikandl.com

_ تبا لك ألهذا أيقظتين ؟ .. في غضب ظاهر ..

ثم أغلقت الهاتف ولم تمهلها الرد

أما عن اليوم التالي فقد أتى حافل بالمفاجئات فالمطعم شهد ما شهد من حوادث وفي تمام الثامنة كان المنظر بالداخل كالتالي :

فتاة تجلس على كل طاولة مما في المطعم فملئوه عدا واحدة بقيت فارغة ... و كل منهم يأكلهم الانتظار ويأكلهم التفكير

ترى من هذا المعجب السري ؟

وفي الثامنة والربع أو يزيد وصل فهد إلى المطعم المختار في زيه الذي اتفق مع كل تلك الفتيات أن يرتديه وهم كذلك يرتدين أزياء متشابهة كأنهن اتفقن عليه معا

ذهب في لا مبالاة إلى الطاولة الفارغة في أخر المطعم خاطف بذلك كل العيون التي ينظر إليها بسخرية ثم جلس وطلب النادل فهرع الأخير إليه ليأخذ طلبه :

ماذا تطلب يا سيدي ؟

_ لا عليك نادني فهد أو كما يحب أصدقائي Sad smile .. جاهرا بها ..

سمع فهد أصوات زمجرة حجبت على صوته العالي ... ذهب النادل بعد أن اخذ طلبه

وبدأ فهد يكمل لعبته ينظر لكل وجه من هذه الوجوه على حدة لكي تأخذ كل واحدة حظها من السخرية

و لم تغب للحظة بسمة الانتصار وضحكاته عن وجهه ثم لفت انتباههن جميعا بحركة مفاجئة ليبصق من فمه أرضا .. فاستراحت نفسه وكأنه وضع حملا ثقيلا وأحس أن

مهمته هنا قد انتهت بنجاح وإن كانت سهلة فأضاف كل هذا العدد دفعة واحدة إلى قائمته

و قبل الانصراف لاحظ شيئا ما غريبا بالمكان هو تذكر أنه رأى عينين غريبتين يراقبان الموقف في صمت ولم يدرك غير الآن أنهن العينين الزرقاوين اللتان شغلا نصيبا من خياله ويقظته

غير وجهته بعدما هم بالخروج إلى تلك المنضدة المنزوية فانحني لها وقال مداعبا :

هل أعجبك عرضي اليوم ؟

ارتفع حاجباها ذهولا على تلك الجرأة والأسلوب الفظ واحمر وجهها لتوجيه الحديث إليها ثم تابع :

أنت لست مثلهن عزيزتي فما الذي أتى بك إلى هنا معهن ؟

ظهر صوتها بالكاد :

أسآتي لأري صعلوكا مثلك ؟ .. بالطبع لا

أردفت ما قالته بتلك العبارة ثم أخذت حقيبتها وهربت عن نظراته المتفحصة لا تعرف كيف قالتها ولكنها فعلت

****

حزمت أمتعه السفر ووضعت على العربة واستعد الكل للرحيل

و دخلت أسماء العربة وتبعها حسن أما فارس فظل حيث هو شارد الذهن ينظر بتفحص إلى الشرفة التي تحجب بينهما فترى ما ستختار .. هل تحن إليه ويكملا معا أم سترفضه عابثة بقلبه .. ؟

وجاءه النداء مرة بعد الأخرى :

obeikandl.com

فارس فارس ... !

تنبه فارس وأخرج من عالمه مضطرا ووضع قدمه في العربة وهو يتمتم بكلمات لم تسمع فدفعه حسن بخفه من الخلف قائلا :

اركب هنا أيها الشيخ

نظر إليه فارس للحظة بتثاقل وقد ركب وعاد يلقي نظرة أخيرة على الشرفة فخيل إليه أنها بها و انطلقت العربة على أية حال من المكان مسرعة لتقطع الطريق الشاق

عام وتعمق في عالم من الذكريات ... فهناك تلك الضحكات التي كان تنقد منها معدته على سلم بيتها الضيق ... وهناك تلك الليالي التي قضوها معا في هزل وجد ... وهناك المستقبل الذي رسمه أن يكونا معا كذلك

يذكر حيث تخلى عنه الكل في ليلة من الليالي الممطرة حيث قضاها بعيدا عن أهله .. إذ أخرجه أبيه من الدار في وسط سواد الليل وأمطاره كان يجلس في أحد جوانب الشارع لا يعرف كيف استحالت به الحال لذلك فاختلطت أدمعه بأمطار السماء الغزيرة وكأنها منفعلة له

وبينما هو في ذلك التيه شاهد ظل يخرج من خلف أحد الأبواب اجل إنها هي تلك السارة دائما تحمل له من الطعام الكثير وضعته بجواره ثم همست في أذنه :

لا عليك إني هنا بجوارك بإمكانك أن تقضي الليلة عندنا سأخفيك ولن يرك احد

لم تستطع شفتيه الحديث فحركت أصابعها الصغيرة بين خصلات شعره بحنان حتى تشجع وأقام بعدما أسقطت عنه تعبه وحملت عنه هذا الثقل وهدأت السحب عن أمطارها وكأنها تتابع الموقف من بعيد

.. يا له من موقف ! .. فها هي تعينه وتسنده حتى يمشي بجانبها خطوة قبل أخرى ثم ابتلعهما سواد ذلك الباب

خرج فارس قليلا من أحلامه ليجد أن كل شيء كما هو ولازال من الوقت الكثير على الوصول لبلدته تنهد تنهيدة طويلة ثم نظر إلى الأراضي الخضراء من النافذة وعاد مرة أخرى لشروده

تذكر ذلك اليوم حيث كان يقف في شرفة منزله متأملا في النجوم ليلا

وإذ بشيء غريب أثار في نفسه القلق ودفعه أن يترك البيت فورا باحثا في الشوارع عن شيء مجهول يعرف أن الخطر بمكان ما أو قل يعرف أنها بخطر في مكان ما هنا أو هناك

قلبه يزيد ارتجافا عليها ويخبره أن ينعطف يمينا فاتخذ قلبه دليلا وسار ورائه مسرعا ترى أين هي وما بها تلك اللحظة ؟

وقد دقت الساعة معلنة الواحدة بعد منتصف الليل وفجأة يراها في أخر هذا الشارع تبكي مزق مجموعة من الذئاب ثيابها قد هاجموا على جسدها الصغير واشتعلت الدماء في عروقه حتى كادت تتبخر .. جرى بسرعة البرق إلى حيث هم ..

تراه وهو يلكم هذا ويضرب ذاك كما المبارز المغوار ولكنه كانوا كثر فاجتمعوا له وأحاطوه من كل جانب و بلحظة خرت فيها قواه ووهنت من كثرة ما ألقى عليهم من كدمات

الأمر الذي جعلهم يتحركون على خط الدائرة التي هو في مركزها وأخذ كل منهم يباغته حينا هذا يدفعه من ظهره ليدنو ممن هو أمامه و يلكمه في وجهه فيسقط رأسه وقبل أن تدرك الأرض يجد من يركل فمه حتى استقر أرضا وتغيب من أمام عينيه الرؤية كأنها السراب

ضاقت عليه حلقتهم و هم ينظرون إليه ضاحكين بانتصارهم عليه فهو الطريح الغارق في دمائه المبعثرة بكل مكان فسالت من فمه و ذراعه إثر هذا الهجوم العنيف

وأما هو فما عيي فعيناه تنظران للقمر كأنه زبالة مصباح يستجدي منه رحمة ثم تحولت عيناه إلى صديقته الكامنة بأحد أركان الشارع الفسيح ممزقة الثياب و العين تفيض دمعا عليه

ما تركوهم هكذا وذهبوا بل بعثوا إلى سارة من اجتذبها حتى تدنو إليه وعنفها أخر قائلا :

أنظري إلى بطلك هذا الملقى أرضا كم هو شجاع إذ جلب لنفسه كل هذا من أجلك بئس الصاحبة أنت ما خلفتي له إلا الشقاء

ثم بصق من فمه على الفارس الطريح واستطرد :

أما أنت فما دهاك أيها الضعيف الصغير وأنت تعبث معنا ونحن سادتك يا هذا ولكن من أجل من هذه .. مشيرا إلى سارة .. هذه العاهرة القذرة

تغير وجه فارس عقب تلك الكلمات الثقال فرفع يده عاليا وحاول أن يستنجد بالأرض ليستوي واقفا ولكنهم ما تركوه يفعل ما صبت إليه نفسه فركلوه من جديد حتى صمتت كل صرخات ألمه واستقرت عيناه على سارة الباكية وأحدهم يلقها بقوة عليه كأنهما الثمامة

ثم فقدت وعيها إثر الارتطام بجسد فارس الصلب رغم كل ما خلفوه به

و ما هذا الذي نراه ؟ أحقا تحمل كل ما به من ألم واستقام واقفا ؟

بل خلع معطفه ليخفي به ما مزق من ثيابها فأخفاها ببيته لبضع ساعات يقوم على رعايتها ليلا حتى استعادت كامل وعيها وضمد جراحها ووارى ألامها

ولكنه بين ذلك كله أراد أن يعاتبها على تلك الثياب الكاشفة لا المخفية التي كانت السبب الوحيد خلف الحرب التي خسرها وخلف الشماتة التي ألحقها بها السفيه بالشارع

وعلى الرغم من كل ما حدث فاز بها دون ضرر كبير لاحق بها وإنه لينسي كل شيء قبل أن ينساها وهي محمولة بين ذراعيه وتهمس شفتاها الرقيقتين في أذنه بضعف بعد أن طبعت قبلة رقيقة مؤلمة لها على جبهته :

لا تتركني بعد اليوم وإلا قتلتك

ظهر على ثغره ابتسامة رغم أنه لم يخل من أثر الحرب و آواها إلى بيتها مستخدما مفتاحها بخفه وما راعاها هو الأهل النيام وبنتهم كادت أن تقتل بالخارج وقد تجاوز الوقت حد الرجوع .. وعلى كُلٍ .. وصل إلى فراشها ليضعها عليه فتغرق في ثبات عميق مؤرق ثم يلق نظرة أخيرة على وجها الجميل و يعود للخارج في خفية كما دخل

****

أفاق فارس من سيل ذكرياته ليجد أنهم قد وصلوا إلى وجهتهم في الظهيرة

نزلوا من السيارة ليجدوا استقبال حافل كما عادت أهل الريف الكرماء سار خلف فارس أمه وأخيه الأصغر فقاده احدهم إلى احد البيوت

طرق فارس الباب في انتظار المجيب وفتح الباب لتخرج عزة من الباب لاستقبال الضيوف وقد استولى الفرح عليها كليا لرؤية خالتها وابنيها

نظرت _بدايةً_ إلى فارس نظرة خاطفة ثم تحولت نظراتها إلى اللاشيء لتهرب من نظراته لكن فارس لم يبعد عينه عنها

..وطال الوقوف على ذلك .. حتى دفعت أم فارس ابنها بكتفها حتى يفيق قبل أن تقبل عزة بحرارة

بينما حسن فقال بأذن فارس مداعبا :

هل أنت شيخ هناك وفقط ؟

ابتسم فارس ابتسامة خفيفة ولم يكد يجب لأنه وجد نفسه يدفع داخلا

تفرقت عائله فارس داخل المنزل

فأما فارس فجلس مع أناس لا يعرفهم فيهم زوج خالته يخوضون في أحاديث مجاملة رتيبة من قبيل ... كيف حالك ؟ وماذا عن والدك ؟ ولم لم يأت معكم ؟ ... أسئلة ما الهدف منها معرفة الجواب فحسب بل قتل ما بقي لهم في المنزل من بيت حتى ترك طرف الحديث ليدعهم يخوضون معا دونه فهو يكفيه أن يحرك رأسه مومئا

أما الشقي حسن فوجد ضالته وجد مازن جار العائلة الصغير .. فكل البيوت مفتوحة لبعضها ها هناك .. بمثل عمره تقريبا خرجا من بيتهما ليبحثا عن ضروب العبث وأماكنها وكما اعتادا أن يفعلا كلما زار حسن البلدة عابثين و لاهيين

أما الأم فاختفت بين العدد الضخم من النساء فمنهم عزة وعبير وأمهما وشقيقاتها الأخريات واخذوا يتبادلون أحاديث حارة فيها شوق وحنين إلى أيام وذكريات بترها الزمان

obeikandl.com

و فارس قد خلا عنهم بأحد الحجرات ما فيها شرفة كبيرة ذات منظر خلاب للحقول الخضراء الساحرة فتن فيها من جديد بسارته وما قالته له من شهرين مضوا .. لا تتركني بعد اليوم وإلا قتلتك ..

كيف يتخلى عنها بعد كل ذلك العناء الذي كده لها

شارد الذهن في ذلك بالشرفة الكبيرة وفجأة يسمع صوت ضعيف يناد عليه :

أستاذ فارس ماذا تشرب ؟

فزع فارس من غفوته قائلا :

_ من ... ؟ ماذا ...؟ وكيف ...؟

ضحكت عزة بصوت خفيض ثم أعادت ما قالت :

أستاذ فارس ماذا تريد أن تشرب ؟

وهنا سنحت الفرصة أن تلتقي عيونهما معا

_ أستاذ ! إني اكبر منك بعدة شهور فقط ... هل شاب شعري .. وهو ينظر بواجهة هاتفه .. ليس هذا بالتأكيد .. ضحك .. لا يغرك ما أنا به من قوة

ضحكت مستنكرة قوته تلك وقالت مجددا بنبرة ناعمة :

ماذا تشرب يا فارس إذن

_ أين ال menu سيدتي الحسناء ؟

همت بالانصراف منزعجة لما قال فاستدرك الأمر وقال :

obeikandl.com

_ قهوة لا عليك قهوة

فقالت مبتسمة :

ثوان قليلة واعد لك الشاي

مضت ولكن ليس وحدها فذهبت معها عيناه وليس فقط بل وقلبه كذلك

مرت دقائق لم يشغله فيها غير اللقاء وكم كانت جميلة خلوقة محتشمة ولو بين أهلها و لا ينسي تلك العيون التي تاه داخلها وأنساه جمالها الكلمات

فترى أكان يحلم أم ماذا ؟ ولم يعتد أن يراهما معا الجمال والأخلاق في فتاة

وأي جمال كان ذاك الذي تعجز الأقلام عن وصفه ويأبى العقل على هجره

اجتمع الأهل كلهم على مائدة الطعام ومن بينهم فارس يمد عينه باحثا عن ضالته بينهم حتى وجدها أخيرا إنها هناك منهمكة بإعداد المائدة والطعام عليها بينما الكل في سمره رمقتها عينيه لبعض الوقت ثم عاد بنظرة خاطفة بين الحضور إذ بأمه تحرك له عيناها بمكر ... فنظر للفراغ و تصنع انه يفعل شيء ما

مضت ساعة ولكن ليس على الكل سواء فهي علي عزة عناء ومشقة وعلى البقية يسر وسمر و الوقت مرور السلحفاة حتى توقف بالنسبة لفارس وإذ بعزة تجلس جوار فارس

ويتسامران قليلا و نظر فارس إلى عينيها ونسي كل الأحرف و الكلمات والجمل لك السحر البني الذي لم يعتد له مثيل

obeikandl.com

نسيت الكلام فيك فمن أنا دليني يا من بعينيك سحر الحياة

عيناك أدهى صبيتين أشباني وأنا من كنت صخر أصم

فأتى ريح هواك فسال كل الصلب في

أنا لك فدليني أين السبيلا ؟

فجميلة أنت كقبس نور في عالم الظلام

أفاق في بحور عيناها على قولها :

هذا المقال كان رائع وعلى الرغم من ذلك لم يلق إعجاب الجميع ليكون هذا الرد حبل نجاة له حتى يخرج من عالم السحر و أخذ ثوان عديدة حتى أدركه النطق :

إنني لا أكتب لكي ارضي احدهم ولكنه قلمي يخرج ما عجز فمي عن إخراجه

صمت قليلا لعلها تعقب ثم استأنف الحديث :

فمن السهل أن ارضي الآخرين ولكن هذا أنا فمن أرادني فليقرأ لي ومن لم يرد فلينقدني أو لينقدني أو لينقضني وما الفارق

عزة بشغف :

يبدو أنك لست بشخص يستهان به

ابتسم فارس ابتسامة جانبية وعادت هي تستكمل قراءة كتاباته على حسابه بموقع التواصل الأشهر Facebook وعاد هو الغوص في عينيها فهو يشعر بجوارها انه قد ملك العالم بما فيه وهي الآن تشعر أنها أمام شخص جدير بالاحترام لم يعد هذا الصبي الذي كانت تشاركه اللعب والضحك وهم صغار

obeikandl.com

اقبل أهله دفعة واحدة إلى حيث يجلسان واقتحما مجلسهما بلا سابق دعوة و قالت الأم أسماء:

بنا يا صغاري كي نذهب من حيث جئنا

رفع حسن حاجبيه :

لماذا و لكني لم أكمل اللعب

وحاول الفرار من المكان لكي يكمل اللعب مع صديقه وامسكه فارس من ملابسه كاللصوص ثم تصنع الجأش :

تمت المهمة بسلام يا سيدي مشيرا لأمه .. بتحية عسكرية ..

ابتسم الكل ولكن عينا عزة لم تخل من الدموع وكادت تتشبث برداء خالتها أسماء أن تبقى للصباح التالي ليتما يومهما الثالث معهما ولكن الأخيرة أبت أن تظل فخرجت عزة ترافقهم بعض الطريق سارت بجانب فارس وسط اخضرار الحقول المبهج و أبت الشمس أن تبقي بعد فراقهم

فمالت الشمس لغروبها لتعطي المنظر جمالا خاصا فيا له من مشهد رائع و قالت له عزة :

_ سأرسل إليك طلبا للصداقة على حسابك

يشرفني ذلك .. بطريقة رسمية ..

ثم نظر إلى هاتفه وقال بصوت لافت للانتباه :

4 رسائل جديدة ولكن ممن ؟ ...من أكيد أنهم من بعض المعجبات..

التقطت أذنها اللفظة المؤنثة الأخيرة ثم أعادتها :

obeikandl.com

_ معجبات !

أجل أنهن كثيرات

_ أ الأمر كذلك يا خالتي ؟

إني احترت لأمر هذا الفارس يا شقية خالتك

_ ليتهن بين يدي فتخلصت منهن بنفسي .. بخفوت ..

أتقولين شيء يا عزة ؟

قالها فارس ببسمة خبث لتجبه عزة وقد بسمت الدينا بإشراقة وجهها:

كما سمعت

وغادرت الأسرة جميعا البلدة يغلفها غلاف من الفرحة والسرور

****

جلس فهد علي فراشه كعادته باحثا عن ضحايا جدد فكم قد مله الجلوس بلا عمل !
و عمله أن يزعج هذا الجنس الآخر ويضيق عليهم الحياة ويحفر اسمه بمخلب ينحت فيه نحتا غائرا ليس كالكتابة على الماء فيبقي اثر لا يمحوه الزمن

بينما هو كذلك التقط عقله فكرة وبدأ في إنمائها فقد عزم الأمر على تلك الصغيرة التي تشغله منذ أيام .. قاصدا هاجر ..

وما هي إلا دقائق معدودة من المحادثات حتى ظهر حسابها الخاص على شاشة جواله وليس ذلك وفقط بل وعرف بيتها وأهلها ورقم هاتفها وكل تفصيلاتها
فكما يقول دائما ليس للفتيات مثيل في الوشاية هن أسرع في نقل الأخبار من أحدث الوسائل العصرية ليتنهد بعد عناء :

ها أنت ذا أيتها العابثة أتريدين الوقوف في طريقي ؟ إذن ستكونين أول من بقائمتي التي سأطيل معها العبث ومر على حسابها الشخصي بعينيه ثم اخذ يدبر لها مكيدة يبدأ بها الحديث

****

فتحت هاجر صفحتها لتغير صورتها الشخصية إلي صورة سوداء تماما ثم جعلت حسابها في وضع offline كي تتجنب المجاملات التي ستنهال عليها في الفترة القادمة وتركته على وسادتها

ومن ثم غطت جسدها كاملا بالغطاء وارتجف جسمها ارتجافا شديدا .. ولكن لم كل ذلك ؟

حقا ما رأته ليلا لم يكن هينا فهي خرجت من غرفتها فجرا إلى ثلاجة المطبخ بالطابق السفلي وهي في الطريق سمعت من هناك صرخات مرعبة دوت بالمكان وعندما وصلت إلى وجهتها عجز لسانها عن الحركة

رأت وجه غريب ملطخ بالدماء ينظر إليها كما الشياطين ثم يكسر النافذة ويمضي في طريقه ولكن ما كان يفعل مثل هذا ببيتهما ؟

واختفت تساؤلاتها عندما رأت منظر سلب من جسدها بأكمله الحياة فهذه الدماء التي أغرق جانب بعينه من المطبخ وأرضا هناك حيث يسكن وعاء كامن فيه قطعا من أعضاء بشري

أجل فتلك يدا .. وهناك قدما .. وتلك ساق .. ترى لمن يكون هذا ؟

وفي الثلاجة التي تركت مفتوحة وجدت الجواب رأت الرأس المذعورة .. رأس أبيها هنا قفزت منها صرخة مكتومة ..

إنها لا تجهل أبدا هذا الوجه فكم رأت هذا الوجه مبتسما ! وكم قسى عليها ! وكم وكم ... ! ولكنه الآن صار قطعا هامدة ورأس مذعورة ملطخة

دار كل ذلك بعقلها مسترجعة ما كان منذ لحظات ظنتها دهرا وهي تختبئ في فراشها تبحث عن المأوى والملجأ فأي شيء بقي لتلك الصغيرة وهي تختبئ مما لا تعرفه وكأن الخوف رجلا يطاردها .. وتعهدت ألا تخبر أمها بما رأته

تذكر حين تحركت قدماها أخيرا من المطبخ مهرولة إلى الفراش بالطابق العلوي ويكأن خلف ظلام تلك الغرف هنا وهناك تسكن الأشباح

أفاقت من غفوتها لتضع رأسها أسفل وسادتها لعلها تستيقظ بعد حين من هذا الحلم المفزع لتجد أن شيئا لم يكن

****

عادت أسرة فارس من حيث أتت ويوم عودتهما اتصل فارس بصديقه فهد والذي سر بخبر عودة صديقه إلى بيته فاتفقا معا على موعد ومرت الساعات قصار حتى جلسا معا في هذا المطعم أسفل مبنى الساعة طفقا يتعانقان وقال فهد لصديقه:

_ أخيرا عدت إلى يا صديقي

أنهم فقط يومان

_ مرا علي شهران يا صديقي الغالي

انتهت الفتيات حتى تخاطبني بمثل هذا الكلام المعسول .. رادا عليه مبتسما ..

_ لم ولن ينتهون أبدا إنهن أكثر من الحصى في الطريق و ما دمت حيا سأجعل من أنوفهن أرضا

جيد أنا فتحنا الحديث بمثل هذا فلي عندك الكثير لأقوله

_ .. لمعت عيناه .. فتيات ! إذن كلي أذان طاغية

قص عليه فارس القصص بخصوص ما شاهد في يوماه من بهاء لم تر عينه له مثيل قبلا ولا تنتظر أبهى منه فليس بالإمكان أبدع مما كان

_ يؤسفني صديقي أن أخبرك أن من الصعب أن تلهو معها لبعض الوقت من دون أن تختل العلاقة بين الأسرتين

قالها فهد بحسرة على صديقه فاستشاط الأخير غضبا وحقنت عروقه بالدماء سريعا وأعاد بغيظ :

ألهو .. !

ثم هدأ قليلا بعد كثير من الاستغفار وعقب :

أنا أريدها أن تحمل اسمي

_ قل لي انه ليس ما ظننت .. بملامح دهش .. أتريد الزواج منها ؟

بلى هو الزواج

_ إذا صديقي قد وقعت في مصيدة طال أن حذرتك منها

ألحب مصيدة ؟

_ بل وأكثر الحب ضعف ... ولتعلم يا فارس أني لن أكون ضعيفا يوما

صمت فارس للاستيعاب مندهشا لما سقط في أذنه وأتبعه :

ما مصير الصائد غير أن يكون فريسة يوما

obeikandi.com

_ إذن اترك لي هذا لبعض الوقت أيها الضعيف أدبر لك هذا الأمر

وهو كذلك أيها sad smile

_ هكذا ستفضح أمري

ومن في بلادنا لا يعرف sad smile فهو بالنسبة للفتيات والفتيان مرتكز للأحاديث

_ فتيان ! .. مستنكرا قوله ..

نعم .. فكم فتاة كلمت كان حلم احدهم أن تبتسم في وجهه فقط

اصدر فهد صوت سعال مرتفع ومتهدج للغاية ثم قال :

_ يبدو أن احدهم يشكر في بمكان ما

****

أنهت عزة مهامها الشاقة بصعوبة فارتخت على الأريكة كي تلتقط أنفاسها ثم أخرجت هاتفها لكي تتصفح ذلك العالم الذي دخلته أخيرا Facebook وإنها لم تدخله إلا كوسيلة للاتصال بالعالم ويكفيها من العالم شخص واحد كي تفعل المستحيل حتى تنتقل إليها أخباره

وهو فارسنا النبيل الذي قد شهره قلمه الذهبي وتلك الكلمات التي يخطها فيجذب لها إعجاب البعض وتساؤل بعض أخر وبغض من الحاقدين

تمر بين كتاباته لتستلهم منها حالته النفسية بدل من صعوبة الحديث ها هنا كم كان يؤلمها تعليقات بعض المعجبات وتحس فيهن بالمبالغة في الإثناء عليه وهي من تريده لها وحدها وليس في يدها حيلة غير أن تكتم الحسرات وكم حنت إلى كلماته معها في لقائهما الأخير وأحست أن العالم باتساعه يضيق بها إلا بين ذراعيه وفي بيته و تشعر

رغم ذلك أن ليس لها أن تنافس أولئك الفاتنات آلاتي توطدت العلاقة بينهن وبين فارس

و تقول أن لن يحاسبها أحد على حلمها الصغير فحياتها كلها أصبحت تدور لهدف واحد صورة رسمها لها عقلها وهي بين ضلوعه تختبئ من كل العالم

فكم ترى أن هذا الصدر سيتسع لسماع شكواها وأنفاسها الضعيفة ! أنهت عزة دورتها الاستكشافية ثم عامت داخل سماء أحلامها في بيتها المستقبلي معه

****

استيقظت هاجر صباحا .. إن كان النوم قد راودها ولو للحظة .. على صوت مفزع وقد وكلت الشرطة بالبيت بحثا عن أي اثر يدل علي مرتكب الجريمة الشنيعة ... وقيل بعد نقل الجسمان أو ما تبقي منه أن القتل لم يتم على غرة بل هو مخطط له ومن ذلك استنتجوا أنه كان خارج المنزل ثم نقلت الجثة داخله ومن قتل قام بتعذيب المجني عليه .. والد هاجر .. تعذيبا بطيئا كأنه قد سلقه على نار هادئة حتى يذق من العذاب أضاعف وبالتأكيد الأمر مدبر من احد أعداءه فرجل دبلوماسي مثله ويدعو إلى ما يدعو بالتأكيد له الكثيرون ممن يحاولون الإطاحة به ولكن ما زال البحث مستمر عن المتسبب في تلك الفاجعة

ووسط تلك الأجواء فتح باب غرفة هاجر على مهل وهي تشعر بما يجري بالخارج .. من أصوات رجال الشرطة المرتفعة نوعا ما .. مسحت دموعها وعدلت من وضعها بعدما كانت تضع رأسها أسفل الوسادة وتمالكت ما تستطيع من أعصابها

دخلت والدتها ثم أقبلت عليها ببطء وبوجه خالي تماما من علامات الفرح أو الحزن جلست على طرف السرير ونادت ابنتها بصوت مذبوح :

هاجر يا بنيتي ... لقد كبررتي الآن وأصبحت شابة من السهل عليها تحمل المهام وأدري يقينا أنك مؤمنة بقضاء الله والذي ليس له من مفر لهذا كله يا بنيتي أخبرك أن الله قد انتزع أبيك من بين أناملنا ليسترده

فرت دمعة من جفنها هاربة من تلك المشاعر التي سادها الأسى ثم أكملت بصوت لا يريد الخروج :
لقد قتل أبوك في حادث بشع و أصبحت يتيمة يا بنيتي

وفي تلك اللحظة أمطرت عيناها من الدموع الكثير يكفي كي تعوم فيه بعض من شجونها وأشواقها للراحل زوجها ومن ثم فهي تخبئ ابنتها في حضنها وبقوة شديدة تتشبث هاجر في أمها فهي من بقى لها في هذه الدنيا

وبعد بكاء ونحيب دام من الوقت الكثير لتقل الأم في صوت ضعيف شديد الضعف :
يقول الشرطي أن الأمر سيستغرق الكثير حتى نتوصل إلى الجاني
ويجب علينا أنا وأنت الإدلاء بأقوالنا بعد شهر من الآن وأن يترك المنزل لأيدي الشرطة حتى تتوصل إلي الجاني

جرت قشعريرة بجسدها بشأن الشهادة فهي رأته فعلا قبل أن يكسر النافذة ويهرب

****

عاد فارس إلى مدينته وعادت معه جميع مشاكله ووحدته وذكره المكان بسارة التي قد غفل عنها أياما ولكنها لم تغفل عن تهديده لها الذي كان قاسيا فهي لا تجد لها غنى عن مظهرها ولا تتخيل حياة بدون فارسها

زفر بقوه قبل أن يفتح المحادثة معها ... رأت هي هاتفها يظهر اسمه على الشاشة معلنا عن رسالة جديدة منه فارتجف قلبها في مكانه فتذكر أن رأته في صباح اليوم يخرج مع أخيه حسن أمتعة سفرهم إلى بيتهما

ولم تكن قد نفذت طلبه تشعر أنها على وشك إحدى العواصف الرملية و بعد كل هذا التوتر لم تجد في الرسالة أكثر من كلمتين :

كيف حالك ؟

رفعت حاجبها بدهشة ثم أجابت مسرعة ولكن في حذر :

_ بعافية الحمد لله .. كيف كان سفرك ؟

وظهرت علامة على شاشتها تخبرها بأنه يكتب شيء ما ودامت لكثير من الوقت فقد كتب فيها كل ما كان برحلته من أعاجيب وقبل أن يضغط زر الإرسال محى كل ما خط وأرسل لها أخرى و بها :

جيدة والحمد لله

دهشت مرة أخرى وصمتت لبعض الوقت فقد أيقنت انه لازال في ضيق منها ولاحظت الحرص الواضح في كلماته وكتبت :

_ ما بك أنت لست فارسي

انتظري بعض الوقت حتى افرغ مما لدي لكي ... انك حرة في لباسك وحرة في تعاملاتك وحرة في اختلاطك بالشباب وليس لي أن أملي عليك فعل أي شيء وما أنا لك إلا ناصح أو أقل لك حتى النصيحة فلن تجديها مني بعد الآن وإن صادفتك في مكان فبمجرد أن تغمضي عينيك لن تريني لأني لا أريد أن أرى سارة الجديدة وسأظل أعيش علي ذكري سارتي القديمة اتفقنا ؟

نظرت إلى تلك الرسالة ولم تعرف عن أي شيء فيها تجيب أولا فصمتت دقيقة ومثلها ومثلهم فطفح بفارس الكيل وخط :

لم لا تجيبيني ؟

_ لا أجد شيء لأقوله

فما قرارك أيضا

_ لك مني ما تريد

****

رفعت هاجر حاجبها دهشة وهي ترى sad smile صديقا لها على Facebook وليس فقط بل وبالإضافة إلى ذلك أرسل لها رسالة ينعها :

البقاء لله ...

كيف وصلت به الجرأة أن يأتي ويحدثها بالتأكيد هو بحاجه إلى من تلقنه درسا جديدا بعد يوم المطعم ودارت هذه الكلمات برأسها ناسية ما هي فيه من نصب وهم ... و أعادت النظر مرة أخري على المحادثة لتجده online تحفزت ثم كتبت :

_ كيف وصلت إلي ؟ ... وكيف أصبحت لي صديقا هنا ؟

نظر فهد إلى صندوق الرسائل بانتصار فقد ربح الجولة الأولي دون أدنى جهد ثم أجابها :

ما يريده فهد يكون رغم أنف أي احد

نظرت لهذه الرسالة وهمت أن تلغي هذه الصداقة وتتأكد ألا ترى sad smile التي كثيرا ما سمعت عنه مجددا وقبل أن تنتقل وصلتها منه رسالتان :

لا تحاولي الفكاك فهناك عشرات الحسابات لي .. فإني مطلوب كما تعلمين ..

شعرت بالضيق لهذا الكلام وزفرت بقوة وكتبت :

_ إذن ماذا تريد مني ؟

ماذا ستفعلين بشأن موعد الإدلاء بأقوالك وقد رأيت الجاني بعينيك ؟ .. كتبها بخبث كي تكون لكمة قاضية ..

ومعها سقط الهاتف من يديها و هي تقرأ الكلمات الأخيرة له وانهارت مرة أخرى لمجرد أن تذكرت هذا المشهد العصيب لم ترفع الهاتف لتجيب
فهل فهد هذا بشري حقا ؟ .. فما يفعله يعجز العقل عن تصديقه .. أنى له أن يعرف ما حدث لها البارحة و هي لم تخبر به أحد ولم يراه سواها

انتظر فهد الجواب وانتظر ولكن دون طائل و هنا عرف أنه اقترب من هدفه وفرح كثيرا بهذا المغنم ولفوزه بجولة أخرى و فكر كيف ستكون الجولة التالية وبدأ بالتخطيط وإعداد عدته

بينما هي فملقاة أرضا لا حول لها ولا قوة تعجز تمام العجز حتى عن التفكير بما هي فيه

****

obeikandl.com

أنّات عشاق

آتى ليل جديد يحمل للجميع الودائع فمنهم من يحمل له خيرا ومنهم من يحمل له سوءا وفيه ترى أفعالا متناقضة هو ملجئ الضعفاء وحمايتهم فيسكنون فيه هروبا من مجابه الدنيا ومصارعتها

وتري كثير يهجعون فيه ويهربون من هموم دنياهم ومن أحمالهم الثقيلة إلى مولاهم الحق فيضعونها بين يديه منفذين لأمر الله في كتابه

(فَفِرُّوا إِلَى اللَّهِ) (50) الذاريات

موقنين بأن ليس لهم احد سواه ويذكرون قوله

(وَمِنَ اللَّيْلِ فَتَهَجَّدْ بِهِ نَافِلَةً لَّكَ عَسَى أَن يَبْعَثَكَ رَبُّكَ مَقَامًا مَّحْمُودًا) (79) الإسراء

فهذا فارس يفيق في جنح الليل وقد أطال في سجوده بين يدي مولاه وأفاق على صوت مؤذن الفجر فأنهى صلاته وفتح نافذة الغرفة ونظر إلى السماء ورفع كلتا يداه ثم أعاد نظره أرضا وهو يقول :

.. اللهم إني اعلم مدى تقصيري ولكن رحمتك تسع كل شيء

وأنا من ضمن أشياءك فلتسعني رحمتك

ربي أسألك لطفا في قضائك ولا أسألك رده

ربي اختار لي فإني لا أحسن الخيرة

وإن كان لي فيما اخترت خيرا فلا تحرمينه ..

obeikandl.com

ثم نظر للقمر وقال :

يا رب تكوني بخير يا عزة كم اشتقت لك !

وتزامن مع الحدث نفسه وقوف عزة هي الأخرى في نافذتها ناظرة للقمر وكأنه وسيلة اتصال بينهم بعدما قطعت كافه الطرق

وانتهى المشهد وقد ذهب كل منهما إلى صلاته

****

أفاقت هاجر من إغماءاتها الطويلة ولملمت شتات تفكيرها فهي تشعر أن الجميع يقف كالبنيان المرصوص في وجهها

وفي تفكيرها أن أبيها ذهب بهذه الطريقة كي يعاقبها فهو يحب ذلك .. أن يعاقبها .. ولكن هذه المرة بتركها وحيدة وأمها دخلت علي اكتئاب متصل لا ينتهي ولم تعد تتحدث إليها كعاداتها

وما زاد الأمر سوءا أن ذلك كان في الفترة الصيفية من العام حيث لا يوجد دراسة وبالتالي فلا يوجد أصحاب فأحست أنها بمنتصف البحر في جنح الليل تتقاذفها الأمواج وتتلاعب بها وتمد كلتا يديها أعلى الماء بحثا عن فارس منقذ

فترى هل يأتي ويرفعها على سفينته ؟ أم تتمكن منها الأمواج فتقتلها ؟

****

بعدما انهي فهد محادثته مع هاجر واطمئن بالنصر وأجرى مكالمة استفسر فيها عن بعض الأشياء واعد أسلحته للمواجهة القادمة والتي أحس إنها لن تمر هينة فهي لذلك محورية فقد مر يومين وردت عليه أخيرا بعد طول انتظار :

_ آسفة على التأخير

اقدر ما أنت فيه فلا عليك .. بأسف مصطنع ..

_ وكيف تعرف ما بي

مرة أخرى تسأليني ... وذلك ليس بالأمر المهم لسهولته
كفت عن الكتابة فاستطرد هو :
اعتبرني لا اعرف شيئا ... واحكي لي ما كان احمل بعض أتعابك عنك واخفف منها

دقائق مرت من الصمت فكرت كثيرا ثم قالت:

_ وكيف لي أن امن لمخادع مثلك

ليس هناك أسهل من الحظر ... إن يوما لم يعجبك كلامي احظريني عن حسابك فتكفي أذاي

_ سأحاول

ثم قصت عليه القصة كاملة متحدثة عن علاقتها بأبيها وأمها وكيف توفى أباها وكيف كانت ملامح قاتله المشوهة وتغير أمها معها بعد حادثة القتل ومن ثم هروب وانسحاب الكل فجأة عن الوقوف بجانبها ومدى الأسى الذي غدت تشعر به و تجده من وحدتها

ومدى الرعب الذي تجده من سؤالها عن أقوالها وهل ستصف القاتل بضعفها ؟ أم هل ستكون جبانة ؟

ألقت بكل تلك المعلومات أمام فهد والذي استطاع بخبرته أن يهدئ من روعها ويطمئنها ولو قليلا أن كل شيء سيكون على ما يرام ... فغدا يتحدثان يوميا بصفة متصلة

فهل يا ترى فهد سيكون الفارس المنجي لها من أمواج الحزن ؟

****

تمر الأيام ولم يخبر فهد فارس عن فريسته الجديدة والتي دخلت بيتها يوما متأخرة في الوقت وذلك لسقوطها في الشارع فاقدة للوعي ولذلك لأن جسدها بات نحيلا وقواها وهيت وعن أمها فلم تصدق هذه الحجة وألقت في أذنيها توبيخا شديدا

أيتها الفتاة العابثة أتحسبين أن حبال الالتزام قد انقدت بموت والدك رحمه الله وأن الباب قد فتح أمامك على مصرعيه لتأخذي ما تشائين من ألوان اللهو والعبث ... على رسلك أيتها الوغدة لم يمر الكثير على النبوءة القاسية ... لا تظنين ما قلت فأنت لك مني الويل نظير ما فعلته من محاولة للانحراف

وحاولت المسكينة الدفاع عن نفسها فلم تقوى على النطق ولم تكتفي أمها بما قالت بل وصفعتها على وجهها وكأن البركان الشديد داخلها وجد أخيرا المنفذ للخروج

سقطت هاجر مرة أخرى فيا لها من مسكينة وأنت تراها على فراشها فاقدة الحول والقوة

تلك العينان الزرقاوان فيهما ما يبين ضعفها وهما يفتحان رويدا رويدا و نظرت هاتفها لتجد 50 مكالمة فائتة من رقم لم تنسه أبدا رقم فهد ولا تعجب من كلامي فأنت تعرف نية صاحبنا التي بيتها لها منذ أشهر

اتصلت به فسعد لإجابتها وباستعجال قال :

_ هاجر أين أنت ؟ ... أنت بخير ؟
ماذا حدث مع أمك ؟ ... هاجر أجيبيني أرجوك ؟

ردت هاجر بصوت مزقه الدمع تقطيعا :

لست بخير يا فهد فقد نالت مني أمي كما لو إني عدوتها
فهد ... ! إني لو بقيت معها لساعات أخرى سأقتل نفسي وقد نصبت لنفسي مشنقة في غرفتي كي تستريح مني الدنيا بمن فيها فقد فعلت بي الأفاعيل وما عاد لي طاقة للتحمل

_ يا لك من مسكينة ولكن لا تذهبي و تتركيني هنا وحيدا أرجوك
.. سكت لبرهة واستطرد .. متى تخرجين من البيت ؟

غدا مساء

_ جيد جدا موعدنا غدا في المطعم ذاته الذي التقينا به سابقا
لم تجبه وظن أن الخط قطع فناداها :
_ هاجر ! هاجر أين أنت ؟

.. يعد طول تفكير .. سأكون هناك في الثامنة

فرد فهد بصوت أشبه إلى فحيح ثعبان :

_ تأكدي إني سأخرجك من ما أنت فيه

لا أظن

_ ثقي في قليلا فحسب

سنرى .. بوهن ..

****

مالت الشمس إلى غروبها من جديد وفارس يقف في شرفته يقلب في سجلات ذكرياته ناظرا إلى شرفة مقابلة تكاد تكون مغلقة .. كم وقفت سارة أمامه فيها ! ... وكم

obeikandl.com

ضحكت وأضحكته فيها ! ... فكانت شمسه المشرقة ونافذته التي يرى من خلالها الحياة سعيدة مرحة وكثيرا ما حماها من المحاولين الوصول إليها

هي الأميرة المطلة من شرفة قصرها على فارسها المغوار وهو يصد عن قصرها الأعداء صدا ... ولكن الآن هي تتهمه بالتشدد ولا تجيب عليه إلا لماما فلا تعجبها طريقته ودار في تفكيره
كلمات : هل أنا المخطئ وهي المحقة ؟

وأدار بهاتفه أغنية طالما يجدها مختبئة بين كلماتها لمغنيه الأوحد محمد منير ولهجته النوبية التي عشق بها الغناء وهذه بعنوان .. الجيرة والعشرة..

(أميرة عقله في الحجلة العقل يطير
كانت صغيرة بضفيرة كان هو صغير
ساعة ما تضحك مع أخوها تلاقيه بيغير
ولما ترفع قولتهم تلاقيه عطشان ... إلى أخر الأغنية)

ظهر على ثغره ابتسامة جانبية تنبهه بأنه المتشدد في الدين الذي يعشق موسيقى أهل النوبة البسطاء

سمع الأغنية مرة ومرة و مرة وقطع استماعه لها صوت فهد في الشارع مناديا :

_ فارس ... ! فارس ... !

زفر فارس بقوة فهو لا يريد أن يجيب على احد خاصة في وقت قد خلا فيه إلى نفسه فقال ملبيا :

ماذا تريد يا فهد ؟

_ أهكذا ترد على صديقك ؟ بدون تفضل بالصعود أو أي ترحيب

أخرج من رأسي الآن يا فهد

_ شكرا صديقي على الترحيب إني صاعد فافتح لي الباب

زفر فارس بقوة اكتر فكم كره اقتحام فهد لحياته دون أي دعوة للاقتحام !
وقبل التوجه للباب رمقت عينيه سارة تقف بشعر مكشوف في شرفتها فنظر إليها بنظرة أسى ولكنه لم يعقب على شيء مما رأي وانسحب على الفور

صعد فهد وادخله فارس إلى غرفة الجلوس و جلس فهد ومن أمامه فارس ... لاحظ فهد نظرة الحزن على وجه فارس فقال له :

_ ما بك يا فتى

لا عليك أنت تعرف صديقك دائما تعس

_ تعس ؟ ... أعزة ؟ ... أم سارة هذه المرة ؟

رفع فارس حاجبيه مندهشا وشاح ببصره بعيدا عن فهد ولم يعقب عليه

_ .. أستكمل فهد .. إذا حلك لدي صديقي ! قم غير ملابسك وهيا بنا

ولكن إلى أين ؟

_ اتركها مفاجئة .. رد عليه بعيني ذئب ..

ما أخوفني من مفاجآتك !

ابتسم فهد وفارس كلاهما وقام واعد نفسه للخروج نزلا سويا من البيت في الثامنة وكانت أول مرة يذهب فيها فهد لموعد باكرا وعندما اقتربا من هدفهما قال فهد :

_ اجلس بعيدا عني في المطعم

obeikandl.com

و لم ذاك ؟

_ .. تعالى فهد قائلا .. أتريد مني أن اجلس معك أنت

ماذا تقصد ؟

_ إني أريد أن أعرفك على صديق جديد ولكنه خجول بعض الشيء فاجلس وراقب من بعيد وراقب وتعلم

.. أوشك حبر فارس على النفاد .. سنرى ما وراءك الآن يا فهد

ضحك فهد بصوت عالي وقال بنا ندخل يا صديقي

****

نظرت هاجر في ساعتها إنها الثامنة بالدقيقة وهي لا تخفى عن ملامحه فتقلب عينيها في الحضور بحثا عنه وإنها لا تخفى عن مواعده الدقيقة كذلك كما كان اللقاء الأول

قطع سراب تفكيرها دخوله وسحبه للكرسي أمامها فسرت القشعريرة بجسدها من درجة قربه إليها .. هي الأولي لها بالجلوس أمام غريب ..

ألقى عليها السلام ومد يده إليها مسلما ولم ترد هاجر أن تحرجه ومدت يدها المرتعشة فالتقطها بكلتا يديه

والتقت أعينهما معا وهنا صمتت الأفواه لتحدث الأعين التي لا تعرف الخداع أو الحيلة فهربت عينها بعيدا حتى لا تفصح عن شيء لا تريد البوح به قاطعة بذلك الحديث الصامت ويأتي النادل لتتنفس الصعداء
وترى فهد يشير إليها أن تطلب ما تريد ولا تأبه للثمن فهو كفيل به ثم ينظر إلى صديقه الوديع الذي يجلس بأحد الطاولات نظرة شر وحاول أن يخلق هو الحديث :

obeikandl.com

_ كيف حالك ؟

بخير

_ وأمك هل عاد إليها رشدها بعدما كان ؟

.. هاجر بفتور وتوجع .. ماذا تقصد ؟

تنهد فهد وابتدع العمق في كلامه :
تعرفين مدى صعوبة فقدان حبيب العمر وبخاصة أن يكون هذا الفقد فجأة

انتظر قليلا ولم تعقب هاجر فهي تعيش داخل سراب من التيه دوما فأكمل :

_ وأبوك كان في شبابه وفي أكثر مراحل عطفه على زوجته وعناية بها فقد أحست بالثقل الكبير فاعذري أمك لأن ليس لها إلا أن تفرغ ما بداخلها من غضب بمن تستطيع ذلك

.. أطرقت هاجر بوهن .. بي أنا

_ أنت من أمامها طيلة الوقت

وما ذنبي أنا ؟

_ عليك الاحتمال حتى الخروج من تلك الأزمة العصيبة فهي أمك أنت لا غيرك يستطيع أن يأخذ بيدها إلى بر أمن من عواصف الذكريات

اجل أفهمك .. قالتها وقد خاب بها الأمل ..
هناك الجديد في قضية أبي فقد اقتربوا من الوصول للقاتل

وهنا ابتلع فهد ريقه بصعوبة وهو يقول :

_ وهل تتذكرين ملامحه ؟

إني لأنسي كل شيء قبل أن انسي ذلك الوجه

ظهرت على وجهة علامات القلق وقال محاولا التماسك :

_ لم ؟

إن وجهه يهاجمني في أحلامي ويقتحمها علي اقتحاما

_ وهل حقا ستفشين بأمره ؟

لا اعرف فعندها ستعرف أمي أني حضرت الواقعة واني لأخشى من المواجهة

فهد وقد استراح صدره من الصعود والهبوط المتتالي :

_ اتركي الأمور تجري كما هي

أريد أن أشكرك لما تفعله من اجلي دون أي مقابل
فكم خدعت فيك عندما علمت عنك

_ إني لا استطيع أن أتركك وحدك بهذه الأزمة وأريد أن اعترف لك بشيء

تفضل .. بريبة ..

_ أنت تعرفين عن sad smile وما فعله بين الفتيات وبعضهم البعض وتعرفين أيضا كم عرفت من الفتيات ولكن كنوع من الاعتراف كان في اعتباري أن كل هذا الجنس يستحق الإبادة التامة فهم لا يفلحون إلا في النكاح أو إثارة المشاكل بين الناس فكلما بحثت وراء سبب أي مشكلة لوجدته امرأة ... فكنت اعتقد انه لا يوجد فتاة تستحق ادني اهتمام ولكن تغير رأيي ... تعلمين متى ؟

obeikandl.com

متى ؟ .. بتساؤل ..

_ عندما التقيت بك في الشارع صدفة ... لا لم تكن بالصدفة فهي آية من الله أرسلها إلي ليبين لي أن هناك حقا من تستحقني وسأقول لك كلمة كثيرا ما قلتها ولكنها المرة الأولى التي يعترف بها قلبي أتدركينها ؟

هاجر في تساءل وقد احمرت وجنتاها :

ما هي ؟

فهد بعمق :

_ احبك ...

أزداد وجهها احتقانا بالدماء وقالت في صوت بدا عليه الضعف :

يبدو أني تأخرت على أمي

_ لم تعطيني ردا

لاحقا فإني تأخرت حقا

امسك بذراعها قبل أن تنصرف وقال :

_ كنتي تعرفين أني مجنون وفقط ولكن من الآن مجنونك ... فردي علي قبل أن افعل أي شيء محرج لنا نحن معا بهذا المكان

نظرت إلى الأرض لتتجنب أن تلتقي عيونهما وهي تقول باستسلام :

إني كذلك

obeikandl.com

_ أريدها أن تدخل أذني من شفتيك الرقيقتان .. ملحا عليها بالبوح ..

.. حاولت استعادة الحزم .. ليس بعد والآن دعني وشأني قبل أن اصرخ واجمع الناس حولك وأقول يحاول اختطافي

_ حقا أريد أن انتشلك من عالمك فتكوني ملك لي أنا وفقط

كادت هاجر أن تسقط من وقع هذه الكلمات عليها فقال :

_ سأعتق سراحك اليوم ولا تعتادي مني علي ذلك

ابتسمت فقال بحنان :

_ الآن وفقط أشرقت لي الدنيا ... تعالي أوصلك

وأوقف لها سيارة أجرة ورحلت بها بعيدا وهي تلتقط أنفاسها بصعوبة شديدة وتحس إنها أخيرا وجدت الحمى والملجأ الذي طالما بحثت عنه

****

كان فارس بالقرب منهم منذ البداية وجاءه النادل بقائمه الطعام فنظر إلي الأسعار بإنكار وقال في نفسه أن سأنال منك يا فهد في النهاية أفعلتها معي مجددا

وذلك لان فهد اخبره انه نسي محفظته فتطوع فارس بشهامة قائل :

لا عليك سأدفع لي و لك .. جاهلا أمر صديقته هاجر ..

وانطلقت منه عبارات غضب لما رأى أصناف الطعام على مائدة فهد وهي تبدو كوليمة لملك ما ... وها هو الآن يقلب كفا على كف يجلس فارس هناك وشاهد كل ما حدث في غموض ممتزج بالإعجاب فهي الأولى له أن يشاهد فهد يجلس مع فتاة

obeikandi.com

فبعدما تأكد أن هاجر رحلت ذهب إلى فهد خارجا والذي تلقاه بضحك قائلا :

_ هل نسيت أن تدفع ثمننا للمطعم ؟

فارس يضحك هو الأخر قائلا :

اعترف لك إني قد شربت هذه الخدعة المعدة بذكاء ولكن سأردها لك قريبا يا صاحبي فاحذر مني

_ سنري ... ما رأيك في صديقي الجديد ؟ وهل تعلمت عن أستاذك شيء في هذا اللقاء يا تلميذ ؟ فأنت لا تجيد التعامل معهن إلا بالخجل

فارس وهو يكتم غضبه وضحكاته معا :

كيف تعرفت على ذاك البدر ؟ وكيف أقنعتها أن يجلس مع قذر مثلك ؟

_ سأعفو عن إساءتك اليوم فيكفي عليك إني جعلتك تنفق خزينة شهر في عشاء فاخر ولم تنل منه ولو واحدة

ثم اخذ نفس عميق وقص عليه حكايتها منذ البداية

بعدما انتهي قال له فارس :

أتعرف يا صديقي أن قلت لي منذ فترة قصيرة انك لن تكون ضعيف يوما وظنك أن الحب ضعف

_ أجل لا أنكر ذلك

ها أنت ذا قد سقط في المصيدة

obeikandi.com

_ يبدو كذلك يا صاحبي ولكنها ليست كأي ممن عرفتهن و أخشى حدوث شيء ما بخاطري يفسد علينا هذا الحب الثمين

و ما ذاك ؟

_ لا تتعجل الأمور لربما لا يحدث .. بعمق ..
أريد أن اسمع تعليقك على ما شاهدته اليوم

تعليقي ...

قالها فارس قبل أن قاطعه فهد بوضع يده على فم فارس قائلا :
_ أريدك أن تديرها في رأسك و أنا انتظر رد قلمك الليلة على حسابك

إذن لك ما تريد

وفي الليل رفع فارس قلمه الذهبي وكتب :

إن الحب علاقة صافية سامية حيث لا يطرق إلا أبواب القلوب النقية فحسب ... وما دون ذلك من قلوب فلا تنعم بالحب ولكنها تتصنعه لا يربط بينهم وبينه شيء سوى الكلمة فقط ...
الحب لا يصدأ بريقه أما ما دونه تبليه الأيام وتمزقه إربا وما دونه عبارة عن سلسلة من التنازلات تبدأ بتنازل صغير وتنتهي بفاحشة مبينة
فحتى يطرق الحب الحق باب قلبك عليك أن تنقية من أي دنس أخر

obeikandi.com

أعاد النظر على ما خط بعين رضا وضغط زر النشر وحصد إعجاب الكثير .. ومن بينهم عزة.. وتساؤل البعض فقد فتح على نفسه بابا من الجدال ولكنه فقط ينتظر رد صاحبه على ما كتب بشأنه حتى جاءه أخيرا :

جيد جدا وفقت يا صديقي ولكن ما دخل هذا في ما اتفقنا عليه

_ هذا عين ما تحدثنا عنه وحقيقته وبعيدا عن الصداقة بيننا لا أرى قلبيكما نقيان حتى يكن بينكما حبا بكل ما تحمله هذه الكلمة من معاني فأنت لا يوجد فتاة إلا وقد قلت لها أحبك

ولكنه لغيرها لم يكن حبا حقيقا .. فهد مستنكرا ..

_ أجل ولكنه كان بدافع الحقد الذي ملأ قلبك

وماذا عن هاجر

_ صراحة لم احكم عليها حكما جليا

و لم ؟

_ لقد وقعت تحت ضغط كبير من جميع مناحي الحياة وهذا دفعها للتخبط والانحراف

انحراف !

_ أجل وكان تنازلات متدرجة أولها أن ردت على رسالتك و ثانيها أن خاضت معك و ثالثها أن قبلت طلبك بالذهاب إلى المطعم كل ذلك دون العذر و رابعا أن سمحت لك أن تقول لها أحبك ولازالت المصائب تتوالى فأهون المصائب جاء بدايةً وأعظمها وأكبرها سيأتي آخرا ... ولذا لم أعن المعنى المتداول من الفاحشة المبينة

انتهيت ؟

obeikandl.com

_ أجل

تعلم إني أساندك في رأيك دائما فيما تكتب يداك ولكن هذه المرة اشعر أن التوفيق خانك وكذلك الظن بي

_ شكرا لرأيك صديقي ولكن غدا تثبت لك الأيام صدق كلماتي

****

وقف فارس في شرفته لا يدري ماذا يفعل فهو في شعور غامض يعرف مكنونة .. إنها بالقرب منه .. رفع نظرة تجاه شرفتها نعم إنها هناك لم يخونه حدسه

وبدأ الحديث ولكنه حديث صامت .. نظرات عتاب من فارس يصاحبها نظرات أسى من سارة .. فكم افتقدته وكم افتقدها ... !
تقف دون حجابها وأرادت أن ترسل له رسالة بعدما أشاح ببصره بعيدا عنها ممتعضا فدخلت وأحضرت غطاء رأسها وعادت إلى الشرفة سريعا

لاحظ فارس عودتها ولكنها هذه المرة كانت محجبة فرفع حاجبه بدهشة منكر ثم ابتسما سويا فاحمرت وجنتاها ثم دخلت مسرعة وأغلقت الشرفة وسقطت خلفها وصدرها يصعد ويهبط بسرعة دون انتظام

بينما هو قال له قلبه .. مرحبا بك من جديد سارة ..

فتح حسابه الخاص ووجدها سبقته هناك قائلة :

اخترتك أنت

_ كم اشتقت إليك

وأنا أيضا فلا تعلم كيف كانت الحياة دونك

_ إن حياتي لا تساوي الكثير دونك

أحم أحم

قالتها سارة بخجل فضحك فارس لدرجة أن صوت ضحكاته وصل لسارة في بيتها :

حقا إنك لمجنون

_ مجنون بك

احم احم سأتركك ثانية إن لم تكف عن إخجالي هكذا

_ انتظري يا مجنونة لن افعلها مجددا

ظهر شيء غريب زاد من غضب فارس إذ بها وضعت صورتها على حسابها في الموقع ففقز قلبه من مكانه وهو يضخ الدم بسرعة إلى عروقه وكسر الكوب الممسك به في يمينه من شدة الغضب وعاد للمحادثة

_ سارة .. !

ماذا يا فارس .. ؟

نقل إليها فارس نسخة من صورتها في صورة مرفقة وقال :

_ أريد تفسيرا لهذه

أعجبتك ؟

_ تقولين أعجبتك ؟ .. عاد إليه الغضب سريعا فسكت كثيرا وكثيرا
ثم عاد وقال بتأني :

_ أسف للتأخير لأني لم أرد أن أرد عليك و أنا منفعل

obeikandl.com

منفعل .. ! لم .. ؟

_ إني أشيط غضبا بمجرد أن اعرف أن مكروه أصابك أو حتى قد يصيبك ... وأنت تنشرين صور لك ألا تعلمين انه يسهل على أي احد أن يحتفظ بمثل هذه الصور ويفعل بها الأفاعيل

ولم يحتفظ بصوري بالتحديد فالموقع مليء بصور لفتيات مثلي

_ أنت غيرهم

كيف ؟

_ يكفي أنك أجمل منهن

.. أحمر وجه سارة و خضعت .. وماذا تريد مني ؟

_أريد أن تعودي إلي صوابك وتمحي هذه الصور ولا تتركي لهن اثر

بالتأكيد إن شاء الله

ثم مرت ساعة وأخري ومثلهن وكل دقيقة تمر يشعر بسهام تطعن قلبه .. فهي لم تمحها ولم تفكر حتى بذلك .. حتى طفح به الكيل ودخل المحادثة من جديد

_ تعلمين أني الآن يبقي لي خطوة وحيده وأحظرك عن رؤيتي تماما

و لم ؟ .. بسذاجة طفلة ..

_ أمامك عشر دقائق لتمحي كل تلك الصور وإلا سأفعلها

لا تفعلها أرجوك ثواني وسأزيلها

obeikandi.com

وما هي إلا دقائق معدودة ومحت كل الصور ثم عادت إلى المحادثة

انتهيت إذن هل لي بسؤال

_ الآن اسألي ما تريدي .. وقد ارتاحت شكيمته ..

ما يدفعك لكل ذلك ؟

_ لا اعرف ولكني لم أثار بهذه الدرجة قبلا إلا حين هاجم عليك الشباب في الشارع

شعرت سارة بغصة في صدرها لتذكر مشهد فارس وهم يضربونه أرضا ثم بالحنان وهي تغمض عينها بين ذراعيه مرتديه ثيابه وأشعت بالأمان والدفء فيها

_ سارة أنت هنا ؟ .. بعدما طال صمتها ..

أتحبني يا فارس .. قالتها كما السهم فكأنه الهدوء الذي سبق العاصفة ..

_ ماذا ؟

كما سمعت

_ لو تعتبرين ما افعله لأجلك حب إذن فهو حب سميها كما تسميها

وماذا فعلت لي ؟

_ ماذا فعلت لك ؟ ألست حماك الذي تلجئي له وقت ضعفك .. ؟ ألست أكثر من همه شانك .. ؟

قرأت كلماته وقالت بانتصار :

بل وأكثر من هذا

obeikandl.com

_ وما معني ذلك لك ؟

أدركت الآن وفقط أن الحب متبادل وليس من طرف واحد فقط

رفع حاجبه ... فكيف لها أن تقل له شيئا مثل هذا ولكنه لم يعقب لمدة وهنا ظنت أن شبكتها صادت و الصيد ثمين وقالت له :

أحبك ...

سارة ذات جمال تعجز العين أن ترى له مثيل وهو يحس أن يرفض مثل هذا سيؤدي بمعرفه كل تلك السنين إلى قرارة الهواة

****

وبعد نهاية يوم مهلك استراحت عزة على أريكتها تريد الحصول علي شيء يبعث فيها الطاقة للاستمرار ففتحت هاتفها وألقت على صفحة فارس نظرة متفحصة وهي تنظر إلى التعليقات بدقة حاقدة على من يسامرونه ويرد عليهن ويعطيهن قدرا من الاهتمام لهم ولآرائهم وقررت أخيرا أن تشارك بتلك الحلبة وتعلن عن وجودها

فها هي احد منشوراته يبحث فيها عن سبب وهدف نعيش من اجله تأملت المنشور جيدا ثم أدركت ما يقصده فكثيرون انتقضوه لأجل هذا ولكنه لازال ثابت بزعم أنهم لم يفهموا هدفه من المنشور وفجأة وبدون أي دعوة وضعت تعليقا يبرر لفارس كل ما قاله وترد علي كل الإساءات والتهم التي وجهت له وقالت فيه :

.. أن هناك كثيرون يعيشون لمجرد الحياة بلا هدف ولا مبرر فمثل هؤلاء سيمرون كما مر من قبلهم دون أن يتركون ما يخلد ذكراهم كما الأصفار مروا

وأما عن الهدف فهو يقصد أساسي محوري لا يتغير بمرور الزمن والثابت مهما مر الزمن هو الله سبحانه وتعالي لذا فهدا يكفيك هدفا ..

نظر فارس للتعليق وفرك عيناه لا يصدق نفسه اجل إنها هي قررت الخروج من كهفها أخيرا وليس هذا وفقط بل وكتبت ما أراد أن يكتبه تماما وضع إعجاب على ما قالت و كتب في تعليق :

وفقت فهذا ما كنت أريد أن أوصله

ومن ثم انهالت عليها الفتيات ترحيبا وتعارفا إلا واحدة .. سارة .. التي قالت لها :

_ وكيف عرفت فارس

إني قريبته وما شأنك أنت .. ؟

_ وما شأني إني جارته .. بغضب لما قالت ..

وأرسلت لها رسالة بادئة محادثة حكم عليها بالإعدام قبل أن تولد قائلة :

_ ليس هذا وفقط يا عزيزتي إني حبيبته وعشيقته ولا يتمنى أن يتزوج من غيري

نظرت عزة للرسالة نظرات خاوية من الحياة لا تعلم ماذا تقول ولا تفعل ولكن جسدها الهزيل لم يمهلها وقت لتفكر فيه فقد هوت أرضا فاقدة الوعي من الصدمة ولسان حالها يقول ... أفهدا من اخترته ؟ أهذا من اعتقد انه سيرعاني ؟ وسيخرجني من ما أنا فيه

****

opeikanon.com

أول السقوط زلل

تم تأجيل موعد عرض هاجر وأمها على النيابة للإدلاء بأقوالهم و هاجر في تيه تنسى تماما أمر هذا الموعد فقد خطفها فهد من عالمها و لا تغفل عن أن له علاقات أخرى فلا تكترث بذلك
وهي ليست بحاجة إلا إلى يد تمسك بيدها وهي تعبر طريق دنيتنا تمنحها ثقة حتى تكمل هذه الدنيا الخادعة الفاترة السخيفة وبدأت ترضى بأن تحدثه محادثات صوتية في أي وقت بل وبالصوت والصورة وتحل له أن يكثر من المقابلات أكثر ولم تعد تجد عيبا في أن تضع يدها في يده ولم تعد تخفي شعر رأسها أثناء محادثات video call فقد ذابت أغلب القيود بينها .. أو كما قال أحدهم تنازلات ..
حتى آتى يوم لم ترد على أي من مكالماته ولم تخرج معه رغم الاتفاق السابق بينهما

فذهب هو حيث اتفقا يقف بالشارع ينظر يمينا ويسارا ثم يعاود متابعة عقارب ساعته في دهش ونظر إلى جواله وأتصل بها أخيرا ولكن دون جدوى وتعذر على فهد أن يعود أدراجه بخفي حنين فرفع هاتفه واتصل بإحداهن لتحضر عوضا عمن غابت وما المانع

أتى منتصف ليل هذا اليوم و استيقظت هاجر من نومها ضعيفة كسلة نظرت هاتفها فرأت سيل من الرسائل والمكالمات طيلة اليوم
فدخلت الحمام تنظر بمرآته وتهندم من سترتها وتعتني بسلاسل شعرها الذهبي
وأخذت تعد وتعد من هيأتها حتى تظهر له بأبهى صورة في محادثة الفيديو

و فتحت video call معه و تراه الآن في غرفته من خلفه بحالة رثة فهذا مصباح إضاءة من القدام مما أنقرض في هذه الأيام وأما عن جدر البناية فكان الزمان كفنان كفيلا بأن يشق في صلبها شروخا غائرة بينه لاهيك عن الرسومات الشبابية المعلقة خلف رأس فهد البادية بالمكالمة وهو يبدو كأبله أو مخبول مستيقظا من النوم هكذا كان المشهد من قبله الذي شردت به بعض الوقت بينما هو فقد تاه في تلك العيون المتسعة الزرقاء و قال لها بلهفة :
أين أنت حبيبتي طيلة اليوم قد مت قلقا عليك

قالت هاجر وهي تلملم خصلات شعرها الذهبي المتناثرة بجمال :

_ أبدا حبيبي إنها مشكلة أخرى مع أمي فقد عادت على م...

أحس في كلمتها بلا مبالاة فوجه لها أصابع الاتهام .. محاولا اختبارها .. مقاطعا :
إذن وجدتي صديقا غيري وفتحتي الليلة حتى تسوي ما بيننا فلا داعي أن تتعذري هات ما عندك بوضوح فقد كلت أذني منت تلك الحجة البالية

سقطت دمعة من عينها ببطء تسري على وجهها المشع نورا وهو يتابعها بجمود وظهر صوتها أخيرا بضعف :
_ أتعرف .. ؟ كنت سأقول لك إني اشتقتك

ثم انسابت دموع أخرى على وجهها خرج لها صوت أشبه بالأنين واعتذرت منه وأغلقت المحادثة معه
وهو لم يحول نظره عن المكان الذي شغلته بشاشة هاتفه دهش لما أسقط عليه من كلمات ولمشهد الغصن المائل وهو يئن بوهن ويذبل ساقطا فتائه هو في جمال منظرها ورقة كلماتها في مقابل جفاء كلماته فأرسل إليها رسالة صوتية متداركا الأمر :

أتعلمين تبدين أجمل وأنت تبكي

عيناك بلون السماء كما البحر الأزرق رحالة

فيها الحياة ورحالة بها قوارب العشاق

دمعك قطر يسيل متلألئا

فارا ممن أصبو أنا إليه

هن قمران مضيئتان بالأسرار ممتلئتان

كذب عقلك إذ أوحى لك أني أهرب

فكيف وأنا ملجوم بحبك مغلوب بأمرك

لا تقلقي فإني باق إلى أن يفرقنا الموت

لم تراها هاجر فهي من رمت بهاتفها عرض الحائط خائبة السعي أحست أن قاربها للنجاة يسير في عرض البحر مثقوب فأين الملاذ إلى الفكاك دلني ؟

دفنت رأسها أسفل وسادتها أكملت نومها المتقطع والذي تخطي 20 ساعة في هذا فيا لها من مسكينة !

وأما هو فلأول مرة يشعر انه قسى على وأهانها فكثيرا ما فعلها سلفا متعمدا ولكن لم هذه يخالجه هذا الإحساس .. ؟ و تملك الحزن شخصه فلم يستطع أن يجيب على أي أحد يومها وقضى اليوم في تيه هائم على وجهة متخبط وفي الليل وصله منشور بقلم فارس أثار في نفسه الكثير :

من تخلت عن قلبها ومنحته لعابر سبيل

ليست أهلا بالثقة فحتى من وهبت نفسها إليه

يتملكه الشك يوما بعد يوم إنها تخونه مع غيره

فكما رضتها معه من السهل أن تكررها مع غيره

فتحت عيناه إلى غايتها إنه تماما ما حدث معه أصدقا هذا الكلام .. ؟ وظل يحوم في بحور من الشك و الأسئلة و قضي ليلا يبحث في إجابتها

****

بناية قديمة عفا عنها الزمان ذات نوافذ كبيرة الاتساع حيث يقف فارس في إحداها ينظر إلى اللاشيء ببشرة بيضاء ووجه عابس والسماء قد غشا زرقتها الغيوم فما ترى

هو مهموم كأن الحياة قد سلبت منه سلبا فينظر إلى السماء وبصراخ ميت وأنى للموتى السماع صاح مستفهما عما رأى وسقطت منه بعض العبارات ثائرة على جفونه واحتجازها لها لمدة طويلة واختلطت بقطرات المطر الشديدة وكأنها تشاركه الإحزان

تعبت قدماه ولم تعد تستطع احتمالا فمد يده وأراح على الكرسي من جلوسا في الشرفة وأعاد تذكر ما رأته عيناه ولم يصدقها قلبه فكأن السحاب الثقال تعيد مشهد ما حدث :

إذ كان يمر في ردهة المنزل ومن ثم سمع صوت أنين قادم من احدي الغرف إنها غرفة أبويه فتحرك إلى هناك بهدوء حتى لا يحدث أي جلبة ومما ساعده على التطفل أن باب تلك الغرفة بم يكن محكم الغلق ومن شق الباب رأى أمه خاضعة أرضا تتوسل إلى قدم أبيه فقد قدرته على الحراك وفقد عقله القدرة على التصديق

وتابع المشهد

أمه وقد تقطع صوتها بفعل الحزن تقطيعا :
يا أبا فارس قد عشت معك من العمر الكثير وأنا زوجتك سكنك وأم أبنائك

نظر إليها كامل نظرها اعتلاها الكبر وقال شزرا مستنكرا ما يعلمه :
ماذا هناك يا أسماء لكل ذلك ؟

رفعت عيناها إليه وهي أرضا ونظرت له نظرة من ينتظر الرحمة وقالت بضعف :
أستحلفك بالله يا أبا فارس ... أما قد علمت ما قاله الطبيب لي بشأن المرض الذي أصابني مؤخرا ؟

أشاح ببصره بعيدا عنها وقال بلا مبالاة:
لا اذكر

و تابعت حديثها هي بتضرع:
سبق مرارا وتكرارا أن قلت لك أنه أنبئني أني لو لم أتعاطي العقار سألازم الكرسي ولن استطع الحركة بعد الآن لما أصاب نخاعي الشوكي من تلف بالغ لإهمالي الفحص وذلك حسب ما أذكر من مقال الطبيب

قال كامل ببرود :
فهمت وما المطلوب من الآن

قالت بشفقة وقد تسللت إحدى الدموع هربا من عينيها:
هلا اشتريت هذا العقار من أجل بقائي لك ولولدك

كامل باستكبار :

إنك لست بملزمة مني

ومن خلف الباب يتابع فارس المشهد أمه راكعة أمام أبيه تتذلل له حتى يعطيها مالا تشتري به ترياق النجاة وإلا ينتهي بها الحال على الكرسي المتحرك

أفاق فارس من غفوته الطويلة على صوت عرفه عز المعرفة سارة وهي تناديه من شرفة غرفتها المطلة على الشرفة الخاصة بغرفته

وهي تهمس مبتسمة :
فارس حبيبي

ولكن سرعان ما ذهبت عنها البسمة وغادرتها وهي ترى فارس يحبس عينه عن الدمع ولكن بلا طائل فكأن داخل جفنيه نهر يضخ الدمع بلا توقف

سارة بلوعة :
ما بك يا فارس ؟ فارس ... !

تركها فارس وحدها ودخل وألقى بجسده على السرير وكأن السرير قد صمم من الأشواك الحادة فيأبى جسده الراحة عليه بعد ما رأت عيناه وهو يخبط على رأسه مرة تلو الأخرى لعله ينقله إلى الواقع غير مصدقا ما رأى
هل هذا أبيه حقا ؟ كيف أن يكون بتلك الغلظة مع من أفنت حياتها بين يداه ؟

وإذا بصوت قد قطع عليه شروده شيء ما ارتطم بخشب نافذته فيا لها من مجنونة ألا تنتظر حتى يهدئ قليلا ويستطع أن ينبئها بأمره ومن ثم شيء أخر قد ألقي بنفس الطريقة

ومن ثم هاتفه أنار باسمها وحتى يهدئ من روعها أرسل إليها رسالة محتواها :
إني بخير أحدثك غدا إن شاء الله

وبمجرد أن وصلت الرسالة أستلم أخرى ولكن من شخص مختلف ذهل عندما تأكد منها إنها عزة وقد أرسلت إليه صورا تتضمن شجارها مع سارة نظر بفتور ولم يعبئ بشيء ثم امسك بقلمه وأطلق له العنان وخط :

بعض البشر لا يستحقون لقب إنسان

أنستهم الدنيا مسماهم وألهتهم

فإذا أنعم الله عليهم لا يدهسون أولا

إلا من أحنوا رقابهم حتى يصعدوا عليها

ومن ثم عاد لعالم من التيه أيقف في وجهه .. ؟ ولكن كيف يصد أبية عن طريقه وما هو إلا نكرة عبء على أبيه صحيح أنه لا يوفر له غير قليل الطعام والسكن .. قليل جدا .. ولكن كيف للشبل أن يخرج وحيدا من عرين أبيه ليحمي عائلته من هول القسورة الأب ... فقرر الصمت وما أقتله في مثل هذه الأحوال فهو يفكر بعقل قد خوى من أي شيء

****

سواد حالك يخيم علي بيت عتيق من الطبقة الكادحة نحته الزمان نحتا هنا يسكن فهد ولا تعجب صديقي فلا تظهر المعادن النفيسة إلا في باطن الأرض ولا تعرف جمال الزهرة إلا إذا قورنت بشيء أخر سيء الرائحة

دق منتصف الليل لتنعدم الحركة داخل المنزل فهي الصيحة تنادي الكل ليذهبوا إلي فرشهم ناعسين فصمت المنزل تماما عدا حجرة لم تخلو من دروب اللهو والعبث و بها فهد وقد مل ممن عنده من الفتيات فهو يستحق لقب خصمهم بجدارة فيجد فيهن شيء كبيرا من غرور حواء وهو ابن الطبقة الكادحة فأراد أن يسخر شخصه لكسر أنف كل بنت من بنات حواء

نظر إلى أحد الفرائس طالما أراد أن يضيفها إلى قائمته المطولة إنها سارة ذات الرأس المرتفع ونظرات الشزر والقوام الذي يعلن عن أنوثة ملتهبة

يعرف ما بينها وبين فارس من علاقة قوية ولكنه كثيرا ما اعترض على صديقه لتلك العلاقة المشبوهة وأحس أن الوقت قد حان لكسر أنف تلك الفتاة التي لا ترى إلا نفسها وفضح أمرها أمام صديقه

دخل على حسابها الشخصي ووجد ما جعل ابتسامته تزداد اتساعا وجد العديد والعديد من الصور المغرية للاقتناء صور لها تظهر ما بها من مفاتن أحس أنها ستصلح لشيء ما ولو بعد حين

قطع كل ذلك صوت باب منزلهم يفتح ببطء في هذه الساعة المتأخرة من الليل وقد كان البيت سكون فما يفعل هذا الفهد مع الغازي الذي لم يختر من البيوت إلا أشقاها لم يطل التفكير بل أسرع إلى عصا قريبة تصلح للاستخدام أمام هذا الغازي الخفي واخذ الوضع المناسب من الاستعداد ... فترى من يكون .. ؟ وإذ بالباب يفتح شيئا فشيئا

كأنه لا يريد لمن في الداخل أن يدرك وصوله ومرت لحظات من تصبب العرق وشحوب الوجه فأغمض عينيه فهد من هول الموقف حتى ...

حتى ابتلع ريقه بالنهاية بعدما تأكد أنه أخيه الأكبر فتحي الذي لا يعرف له عمل والمتغيب عن البيت أسابيع وقد يأتي ليلا وهم نائمون ويعود قبل خروج الفجر و لم تكن الأخوة رابطة قوية تجمع بينهما إلا في الآونة الأخيرة

ولم لا تجمع بينهما غاية مشتركة ؟ ... فهذا له أسلحته الفتاكة التي يصل بها لقلوب النساء ويفخر بذلك موقن أن وراء كل شجار فتاة ... وهذا لا يعرف إلا لغة الدماء فهو يتشفى من البشر جميعا يشعر بأن لا سبيل للعيش وسط الذئاب غير أن تتغذى على أرواحهم ولكن تري كيف يتعاونا

****

لا زلت المشاحنات قائمة بين سارة وعزة كلتاهما تريدان نفس القلب ولهما فيه من الحظ الكثير ... فهل يتقسمانه أم تفوز إحداهن بتنازل الأخرى وترك الحلبة .. ؟

وزعمت عزة إنها من تملك قلبه كما يؤكد لها إحساسها ذلك تأكيدا وهي تشعر أن الحياة من دونه خاوية هو يعنيها ويكفيها عن الجميع

أما سارة فتسعى لإثبات أنوثتها وإخماد لهيب غرورها ومن أنسب من فارس الذي لا عهد له بالفتيات فهو على قدر غير قليل من التزام فأرادت أن تذيب هذا الجبل وتحركه وتتخلص من العلاقة الفاترة السخيفة .. في نظرها .. ألا وهي الأخوة فكثيرا ما احتمت بين ضلوعه من نظرات الحاقدين فهو درعها الحصين

ولكن هل سيبقى فقد تلقت طلبا للتعارف وموعدا من قبل فهد وهي تعرف من يكن جيدا وكيف الصلة بينه وبين فارسها فهل تذهب .. ؟ وهل تجيبه .. ؟

وذلك ما أبعدها ولو لبعض الوقت عن خصومتها لغريمتها عزة وللحظة الكل يتساءل أين ذهب فارس واختفى .. ؟

فلا يلبي لأحد طلبا ولا يرد عمن يسألونه لا في واقعنا ولا في عالم Facebook الافتراضي لا يجيب على معارضيه ويدفعهم عن سوء الفهم دفعا ولكن رغم ذلك فقلمه لا يتوقف عن الكتابة والنشر والقلم دائما متعطش للكتابة بمثل مواقف الرهبة والترنح التي هو عليها ولا يهدئ من روع كاتب إلا الحبر والورق فيطلق لقلمه العنان فيخط كلمات من ذهب فيذهب هو إلى قبره وتظل في شفاعته فالكلمة وهي غاية القلم شيء خطير للغاية فبها تعلو الأمم وترتقي و بها تسفك الدماء وتهتك الأعراض ويبتم الأطفال ويشق بطون الأمهات فما أصعبها من حروف التي تحكم مصير الأمم .. ! ... تسجل في الماضي وتؤثر علي الحاضر وبصنع بها المستقبل

****

استيقظت هاجر من نومها من نهار يوم جديد أزالت الغطاء في فتور وتحركت قدماها بصعوبة ذهبت إلى أوراق التقويم وأزاحت منها ورقة فها هي الأيام تسرع كالقطار فلا تشعر للوقت بقيمة ويقترب موعدها للأداء بأقوالها أكثر فأكثر

غيرت وجهها تجاه الحمام بعدما وضعت على كتفها المنشفة وهي في مرحلة استعداد لاستقبال يوم جديد وقفت أمام المرآة نظرت لخصلات شعرها الموزعة بعبث في غير نظام وإلى صفحة وجهها الشاحبة

ليس ملك الموت فقط من يسلب الناس أرواحها فهناك أحياء لا يعرفون للحياة طعما وهم في انتظار حتفهم في اللحظة قبل التي تليها

لم تغتسل هاجر على غير عادتها صباحا بل أكتفت بأن يصافح الماء صفحة وجهها كيف أصبحت هاجر من لها من الجمال ما يشيب الرجال رغم أنها حديثة السن ولم تتجاوز العشرين ربيعا فقد تذبل الزهرة مهما كان جمالها إن امتنعت عن ريها و العناية بها
فهذا اليوم الثالث دون اتصال من فهد فقط أخر ما سمعته منه عيناك بلون السماء ولعمري تعود إليها نضرتها ريثما تروى بقليل من قطرات الحنان فما أحوجها إليه .. !

جلست تتأمل هاتفها وهي تتساءل فهل من جديد ؟ وجدت طلب لمحادثة video call جديدة من قبله ولكن كيف يراها وهي مهملة هكذا .. ؟ فامتنعت وأرسلت إليه رسالة صوتية أن ماذا يريد

أنكر إعراضها عنه ورد عليها بصوت عزب :
_ لم تحرميني من رؤيتك حبيبتي ... أما اشتقت إلي ؟ فإن لي للوعة لفراقك

هاجر مستغلة الأمر :
تعود إلي بعد هذا الغيب وقد شغلوك عني أياما

_ وكيف أشغل عن شمسي التي تهدي لي الطريق ؟

هاجر ببلاهة وكأنها تصبو لمثل ذلك منذ البداية :
أخيرا عدت إلي حبيبي كم اشتقت لك ... !

_ وهل هذا جزائي ؟

وما يرضيك
_ ما يرضيني يجعل مني سجينا في يد الشرطة على اغتصاب فتاة دون العشرين أصمتها جرأته فلم تعقب إلا بخدين متوردين فأكمل .. وما يشغلني قيود الشرطة ..

وما يشغلك ؟

_ألا تذهب عنك ابتسامتك إذا هجرتك .. بدهاء ..

ستبقي يا حبيبي ابد بقائك فلا ترحل عني وقد سلبت مني قلبي

_ أعدك ألا ارحل ... يبدو انك تعتقدين أني نسيت

نسيت ماذا .. ؟

_ لن أتنازل عن لقاء وموعد عوضا عما غبت فيه وتركتين لحمى الهذيان ولوعة الأشواق

أهذا ما تريد وفقط
_ أريد الكثير ولكن كل لوقته يكفيني هذا الآن

****

منا منعم لا تفارق الابتسامة ثغره ومنا مهموم أتخذ الصمت سلاحا فابتسامته .. وإن كانت لمتكلفه .. تكلفه الكثير فما أضحكه إلا ما أوهنه من البكاء

تلك الكلمات الكبيرة أخر ما خط فارس بقلمه و هو استيقظ من اليوم البائس متمنيا أن يعجل به الموت قبل أن يرى تلك المشاهد فأمتنع عن كل شيء ولازم غرفته واعتكف بها لا يخرج إلا لماما وأثناء ذلك يخطف نظرات يلقيها على أمه أسماء فيا لها من مقاتل لديها من الأعباء ما تنوء به الجبال ورغم ذلك لم يغب عن وجهها الابتسامة التي يستمد منها العون لا يظهر عليها للمرض إعراضا رغم أنها تتقطع من الداخل تضرب لنا آية في الصمود فترى ما يدفعها لذلك غير هذين الابنان فلمن ستتركهما أللقاسي أبيهم .. ؟

تمضي الساعات وكأنها السنون على صديقنا البائس تذيقه الدنيا حمما وبراثن من العذاب فلا يجد إلا أن يفتح صدره واسعا لتلقي سهامها ... وبين كل ذلك التشتت على رنين هاتفه متطفلا فحتى الشقاء ليس له منه نصيب فنظر إلى شاشته فأدرك انه رقم غريب عليه فلا يدري من التعس الذي يرغب في محادثة عابس مثله ... لم يعط له اهتمام ولم يجب

ولكن الهاتف مصمم على أن يقول إني هنا معلنا عن وجوده .. زفر فارس زفيرا طويلا ورد أخيرا فأتاه صوت أنثوي ليس عليه بغريب :
_ السلام عليكم

فزع فارس و ارتجف قلبه وسقط أمام عيناه تنحنح فارس ليستعد شيئا من الجأش فأعادتها :
_ السلام عليكم أحد ما هناك .. ؟

سقط مع قولها ما تبقى من قواه فقالت :
_ فارس أنت هنا ؟ ... سأغلق المكالمة

وهنا رد أخيرا فارس بكثير من الغلظة :
إني فارس من يريدني .. ؟

_ إني أعرفك من بعيد وأريد أن أكون أكثر قربا منك

دهش فارس من تلك الجرأة ولكنه إن أغلق الخط لن يستفيد شيء ... فهو يريد العلم بشخصية المتكلمة ... وأي نوع من المقالب هذه ؟
وهنا تذكر صديقه فهد ولاج في خاطره أنه بالتأكيد هو المسئول عما يجري هنا ولكن ما هذا الصوت ليس بغريب ... كل ذلك دار في ذهنه قبل أن يقول :
وهل لي أن أتعرف علي هويتك حتى أعطيك ما تريدين .. ؟

_ لن يسرك ما أريده لذا فلا داع أن تعرف من أنا
ولم ؟
_ لأني احبك

كانت أول مرة تقع تلك الكلمة في أذنه وممن ؟ ... من هذا الصوت الملائكي الذي يشعر أنه قد نزل عليه من السماء والذي لا يعرف من تكون حتى الآن رغم أنه يألف هذا الصوت و مع كل تلك المشاعر المتضاربة مع أحزانه وآلامه قال بعدم اكتراث :
وماذا أيضا ؟
خيبت تلك كثيرا من ظنها فهي تبحث عن حماك ولا تجدك .. ! ولكنها لم تفقد الأمل فقالت :

_ و لأني كذلك أريد أن اعلم ما بك مختفي لا تجيب على احد ولا تخرج من غرفتك فلماذا ونحن كلنا بجوارك .. ؟

وكيف عرفت هذا ؟

_ لي قلب مفطور لسوء أخبارك فلا تؤلمه أكثر من ذلك أرجوك

فارس وهو يقبض يده بعنف :
وما المطلوب مني ؟

_ أن تلقي في أذني كل ما يوجعك وصدقني إني سأساعدك

ما بي اكبر من أن يحكي .. ثم ضحك فعلت ضحكته وأتبع ..
أتعرفين من كثرة ما العزف على جراحي غارت شقوقها ونسيت أنا ما سببها

_ عجبا لك ...!

هل الآن صدقتين ؟

_أبدا لن أيأس فبسمتك تساوي عندي الكثير

ومن أنت حتى يعنيك أمري ؟ .. برجاء ..

ضحكت بصوت مرح .. إني النادلة التي لم تقدم لك Menu ... واعدت لك الشاي عوضا عن القهوة
قطع الاتصال بها ثم على صوت الهاتف برسالة نصية من تلك المتصلة :
قريبتك عزة ...
سقط الهاتف من يده وعاد خطوات إلي الوراء وقال بدهشة :
ماذا .. ؟ هذا ما كان ينقص الطين أن يزداد بله
لم يصدق أذناه منذ البداية فالشك يخالجه وقلبه يؤكد إنها من أسهرته الليالي ويأبي لبه التصديق أ فأخيرا علم بصدق مشاعرها ؟ ... فملك بحبها الدنيا بكل مل تحويه

لا يريد في دنياه أكثر من أن يرتمي في أحضانها ويشكي إليها شجونه وكم قضى في الليالي من أرق يتوق للقاء فما أعجب الدنيا تتوالى علينا بمصابها فتنسي نكباتها بعضا و فكذب من قال:
البعيد عن العين بعيدا عن القلب ... فهي رغم طول ما بينهما من مسافات ورغم قلة رأياها ولو لمرة في السنة هي أحب الناس إليه

فكم من الألحان عزفت على أوتار قلبه المكلوم .. !

وكم من الأوراق سطرها بحبه لها النابض .. !

obeikandi.com

رغم كل تلك الأشجان التي فجرت قلبه وهو يسمعها تقول بحبك هو يريدها أن تكون حلاله وأم لأبنائه هي يثق في قدرتها على تربيتهم و باغته الشيطان فنفض ذلك من عقله .. رغبته فيها كزوجة .. وهو كل ما يذكره انه عاش حلما جميلا لا يريد أن يوقظه احد

ضرب بيده علي رأسه ليتأكد من انه لا يحلم وحاول الاتصال بها مرات ومرات ولكن هيهات لم تجب أي منها فرفع قلمه وخط :

وما أنت حبيبتي في قلبي إلا يقين

ولكن لفراق طال ما أصدق نفسي

تستشعر حواسي وجودك بكل مكان

فما كنت غير ظل يطاردني

فعيني تري وجهك هنا وهناك

وصوتك العزب يطرب أذني كلما أطرقت

فتري هل من لقاء ؟
يقلب الأوهام حقيقة

وقف فارس يتأمل أرشيف كتاباته مما هام به لها ذات ليلة فرأى كلمات خطها لما طال به آلام الهجر والغربة عمن يصبو لها قلبه ومن تلك الشطحات :

كل يوم أرسل إليكِ مع النجمة سلام

و أرفق معه بعض الكلام

يعجز اللسان لما يغمره من أحلام

فيه سأشعر بالأمان ...

obeikandl.com

ولكن كلها آمال

الطفل تغادره أمه فيصبو للحنان
فهل شوقي إليكِ حنان
لا ففي حالِ عشقي تعدى الجنان
وهل لنا من الأمر سوى الأحلام
قلبي لم يعد يقوي على الآلام
أواه لو كنتي من حور الجنان
فأسعى إلى قبري باطمئنان

****

وأخيرا اختار فهد أن يواجه القطة الشرسة .. سارة.. أرسل إليها رسالة وبمكر قال فيها :

علمت ما بينك وبين فارس ولكن ما رأيك أن تتخلصي من ذلك المتذمر وتمعني بصرك فهناك من يحبك بصدق ويريد أن يأتيك بأي شيء تريدينه طالبا لرضاك ولا تنظري بعيد فهذا أنا من يريدك ولم أتجرئ لهذا إلا عندما أيقنت انك لا تحبينه حقا وهو كذلك يلهث وراء غيرك ... فما رأيك .. ؟

انتظر ولكن انتظاره لم يطل فسرعان ما أتاه الرد من سارة :
_ أولا كيف وصلت بك الجرأة أن تكلمني هكذا ؟ ... ألا تعرف ماذا سيفعل فارس لو علم بذلك ؟ ثانيا فارس هذا وإن قارنت نفسك به فلا تساوي حتى قيمة نعليه فهو رجل بحق أما أنت فتاجر قلوب لا يمس الحب قلبك يوما أتعلم لماذا ؟

obeikandl.com

ببساطة لأنك ليس لديك قلب من الأساس وأظنك فطنت رأيي في حبك ثم أرسلت له smiley face ورسالة أخيرة بها كلمة Block

نظر فهد إلى تلك الكلمات واحمر لها وجهه كيف لتلك العاهرة أنت تكلمني بهذا الأسلوب أتحتمي بفارس .. ؟ ... إذا سأرى كيف سينفعها فارسها

حاول أن يتمالك أعصابه فهو على موعد مع هاجر بعد غياب دام كثيرا تأكد من مظهره في المرأة حتى تم رضاه عنه

وخرج في طريقه إلى المطعم الذي اعتادا أن يتقابلا سويا به ودخل المكان وهنا كانت المفاجئة بانتظاره ... فبعيدا عن هاجر التي تجلس بانتظاره بلوعة هذه سارة اجل إنها هي تجلس هناك ويبدو أن فهد أتى في موعد عصيب

فهي لم تكن وحيدة بل كان معها على نفس الطاولة شخص يبدو عليه تقدم السن عنها قليلا فهي بنت العشرين أما هو فيبدو كبيرا بعض الشيء بشعر اسمر اللون تسلل إليه بعض الشيب وملامح عادية لاهي بالجميلة ولا بالقبيحة وهنا أدرك ما تصبو إليه تلك الصغيرة

فهو قد رجح بخبرته أنها تسعى وراء هذا الأشيب لماله فلا جمال هناك و تستقر أصابع يديها بين خملات أصابعه لها يجلس وهو يمل إلى رأسها من الحين للأخر بين ضحكات منها متزامنة مع نظراتها الساحرة وهو يهمس في أذنها كلاما عذبا

خطف ذلك انتباهه كليا ونسي من آتت كي يطيب كسرها ويقوي ضعفها والتي قد تملكها الغضب كل الغضب وكادت أن تترك المكان له حتى يستمتع بحسن سارة لولا أن أنتبه فهد فشدها من ذراعها إلى الطاولة وهو يهمس لها بحرفية :
لم أشبع منك بعد حبيبتي حتى تهجريني هكذا

نظرت إليه نظرات مليها الريبة ولم تخل من العتاب وقالت :
يبدو أنك لم تأتي لي وحدي

فهد بحيلة :
وتري من تشغل قلبي غيرك يا حياتي

خطفت نظرة على سارة متفحصة وثارت بصوت خفيض قدر استطاعتها :
ألهذه تنظر وتتركني ؟

أحس فهد بالذنب وقال :
وما الدنيا عندي غيرك صغيرتي فما دونك لا يساوي عندي شيئا أما هذه الفتاة فلها قصتها

بدت وكأنها لم تسمع شيئها وهي تنظر لسارة وصديقها يمسح لها شفتيها بمنديله وقالت بحنق :
أولم يهمك حتى أمر ذلك الذي يجلس جوارها

رفع حاجبه فكأن سارة انتشلته من جوارها فكم تمني أن تقوم فتلقنها درسا لا تنساه .. ! وكم كان تحتاج لذلك بعد تعاملها معه أخر مرة .. !

أما هي فبداخلها حمم تبحث عن الثغرة لتندفع خلالها دفعا مرر فهد أنامله بخفها على يدها بحنان كأنه يوقظها بلطف الفارس المغوار

فأفاقت وشعرت بدفء يديه فذاب جليد غضبها بين يديه وقص عليها ما يصبرها مما يعرف عن سارة وقال لها أن ما أدهشه هو كيف تفعل بصديقه هكذا .. ؟
تتركه كالمعلق بحبل هزيل قوامه يطرق باب قلب فتح على مصرعيه للمارة غيره واستشعر بالأسى كي يخفي ما يريد كتمانه عنها

كل هذا وسارة لا تلحظ وجودهما فهما على الجهة الأخرى من ذاك المكان وبمجرد أن أدركت وجود فهد نظر إليها شزرا وتعالت به الضحكات

بينما هي كادت أن تسقط أرضا عالمة أنه يتصيد لها الأخطاء و يا له من خطأ في مقتل فمصيرها بين يديه وهو قد ينقل الخبر إلى صاحبه ويزينه بما أرد من قصص وطبعا مع بعض الصور يستحيل على فارسها التكذيب

ودارت برأسها الأسئلة كهذيان الحمى كم سيغضب فارس عند علمه .. !

تري ماذا سيفعل بها ؟ ... إنه حقا لمجنون كيف سيعاقبني ؟ تبا لك يا فهد

اعتذرت من ذاك الصديق مجهول الهوية وأخذت حقيبتها و سابقت الرياح إلى البيت فارة من عينا فهد وصديقته و لعلها تدري مما تهرب

****

أياما تجري كالبرق وأخرى نشعر أن مداها السنون كذلك أمضى فارس أيامه بين تيه ورشد .. بين حق وعمى .. بين بغض وحب ..

هو لا يعرف أهذا القاسي حقا أباه فكم يبغضه ويتمنى أن يقض الله اجله فهو غائب رغم حضوره لا يظهر له اثر في البيت إلا لماما فسحقا لهذا من أب .. !

ويعش كذلك مضطربا لا يعرف أهي حقا عزة أحبته وترى من ينكح بينهما سارة أم عزة فلكلتيهما مكان ليس بالصغير في قلبه

سارة من أعانته مرات على نفسه وعلى أيامه المريرة حتى يذق لها طعما حلو في غير أسى أو ضيق وعلى غير عادة تختفي سارة لأيام ولا يعرف عنها شيء كأنها تترك المكان للضيف الجديد في قلبه غافلا عما كان منها في المطعم الذي طالما رأى فيها العجائب ويبدو لي أنه بطل خفي في هذه الأحداث يفرض نفسه في كل المواقف فرضا غريبا

وأما الأخرى فهي مهجة قلبه التي أرغمته على حبها دون القصد ويرى منها جهد لا يطيقه البشر غير ما لها من حسن يثمل الناظر كما الخمر

ولكن لم تهرب منه فهو يعاود الاتصال بها يوم بعد أخر وهي في حياء مميت له تخشي أن تناديه بلقب له جديد على لسانها

****

فهنا سارة متزينة وتبدو بأبهى وأجمل صورة لها فبعض تلك الصور يعرفها على صفحتها الشخصية وبعضها الآخر في ثياب دون الثياب لا تستر إلا القليل من لحمها الأبيض ولكن تلك الصور بغرفتها التي يعرفها عز المعرفة ذاك اللحم الذي يلهث خلفه الكلاب ولهم عواء خلفه كعواء الذئاب الضالة الجائعة

تلك الصور بالهاتف بين يدي من استشاط غضبه _ فارس _ أكثر فكاد الهاتف يحطم بين قبضته المتينة

وذلك عندما أقبل عليه بعدما لملم الحجج التي تدين بشرف سارة لا بأخلاقها وفقط ولما رأى تطفل حسن على اجتماعهم فأعطاه أول ما خرج من جيبه غير آبه فنظر حسن للورقة من صنف المائة في دهش وقال له أمضي فاجلب لنا شيء لنشربه أيها الشقي

ثم دفع بالهاتف إلى فهد وقال بسخط :
_ يكفي هذا

فرد عليه فهد يعينان يشعان شرارا :
أنت لم تري شيء بعد هناك من صور رائعة ومثيرة أكثر لم ترها

وقد أشاح فارس بوجهه بعيدا ثم أعاد النظر إلى الهاتف وفهد يقلب صور واحدة تلو الأخرى تظهرها بأزياء وأماكن مختلفة لا يجمع بينها إلا إعلان مروج عن أنوثة ملتهبة إعلان ملصق على الحوائط للراغبين

وصل فهد إلى ضالته أخيرا بعدما رأى وجه صديقه يحقن بالدماء وعرض على فارس إحدى الصور تحديدا

فقد لقط هذه في المطعم على جهل الجميع بذلك وتظهر فيها سارة على يسار الصورة وذلك الشاب الأشيب الذي يجلس يمينا لا يحول بينهما إلا الطاولة مع أنامل سارة الرقيقة ممتدة في قبضه الشاب وهو يقبلها برقة مما لا يثير عجبك أمام وجه الفتاة المتورد بالخجل ولم تخل الصورة من المتطفلين هنا وهناك ممن يتابعون المشهد مثل فارس

ترك فارس الهاتف يهوي أرضا وأنزوي مبعدا ن صديقه في أحد أركان الحجرة يلملم شتات نفسه فقد مزقت إربا إربا

أولا أمه مع أبيه القاسي ... وثانيا عزة والتي لم يعرف شيء عنها بعد أن أفصحت له عن حبها وثالثا يوقن أنه ترك ظهره بحماية خائنة فقد حملت خنجرا وطعنته في قلبه على غرة بعد اختفاء دام أيام كثيرة

كم كنت مغفلا حين وقفت في وجوه هؤلاء لأجل خائنة لا تساوي أي شيء

ثم مرر يديه على جرح غائر في قدمه والذي كان فداء لها بإحدى معاركه التي خاضها على حساب حياته دون العبء

يذكر كم حاول مرارا رسم البسمة على وجهها على حساب أنينه ... فحقا تلك القشة التي قسمت ظهر بعير صبره الطويل

وضع رأسه في حما يداه وهو يحني ظهره فأطرق يفكر مليا في أمره ويتابع الموقف عن كثب فهد وكأنه يري عدوا يحتضر أمامه يشفي غليله في ما فعلته به ذات الأنف المرتفع سارة في ألم صديقه ولما استوفى غايته من التشفي ذهب إلى صديقه وقال بدهاء الذئاب :

وما فائدة البكاء ؟ ... أ سيرجعها بكاءك عن فعلها ؟

فارس بصوت أجش رغم أنين الصدمة :
_ لا لن يفعل إذن هو الانتقام

رجع فهد خطوة إلى الوراء يحاول أن يبعد بعض المعاني السيئة عن مخيلته لكلمة الانتقام فهو يعرف طيش صديقه وحميته فقال بارتباك :
فارس لا تتهور

فارس بصوت غليظ :
_ أنت أول من يجب أن تنصب عليه لعناتي

رجع فهد إلى الوراء حتى هوي فوق السرير وهو يقول بضعف :
لم أنا ؟

لم يلقى هذا السؤال جوابا غير إقبال فارس عليه فأحس أنها نهاية حزينة فهو يعرف أن فارس لا يوقفه احد وهو غاضب .. فاتق شر حليم غاضب ..

اقترب منه فارس كثيرا وكاد أن يبطش به ولكن في اللحظة الأخيرة طرق الباب طرق مستهينا بصعوبة الموقف وهنا سقط فارس على ركبتيه متمتم ببعض الأدعية ذاكرا الله على ما كاد أن يفعله لولا تلك الطرقات التي كان معها التنبيه له كي يفيق من عالم غضبه

كاد أن يبطش برفيق دربه الأوحد وحث فارس فهد على أن يعدل من وضعه البادي عليه الذعر من هول مشهد الفارس الغاضب

فتح فارس الباب أخيرا ليرى حسن ومعه كوبان من مشروب غازي وهو يهتف بصوت صغير عابث :

كل هذا واقف خلف الباب في انتظار ردكم

ثم نظر لفهد بمكر وقال :
ضريبة هذا التأخير سآخذ باقي المال يا فهد

ثم اختفى اختفاء الريح مرحا دون أن يأخذ الإذن بالموافقة من فهد وقال فهد بصوت فاتر كأنه يخرج من كهف عتيق :
باقي المائة جنية ؟

لم يعقب فارس ولم يتبسم حتى على شقاوة أخيه وحيلته في إلهاء فهد فالموقف لا يحتمل الابتسام على عكس فهد الذي قال :

فعلها بي الصغير

وفرت منه ابتسامة ولا تدري أهي ابتسامة ناجي من شقاء حتمي أم ابتسامة على موقف الصغير و عاد فارس وأقبل عليه مرة أخرى و مد إليه الهاتف قال بصوت شع غضبا : _ ارسل لي ما معك من صور وأمحها من عندك فلو رأيتها بأي مكان أخر فأنت المسئول عنها ... اتفقنا ..؟

اتفقنا ... ولكن لم تريد الصور ؟

فارس بحدة :

_ وما دخلك ؟ ... افعل فقط ما قلت لك

وبالفعل فعل ذلك ومحي كل الصور بعد أن أرسل الملف وبالكامل إلى فارس ومن ثم رحل ذاهلا لا يدري كيف نجا دون أن يخدش وعليه ابتسامة ذئب يوشك أن يبطش بعدوه علي يد أخر

****

وقفت عزة تمام مرآتها بحمام البيت الهالك وفكت غطاء رأسها بخفة لينساب خصلاته السوداء كأنها تداعب ظهرها وبدأت تفتح الصنبور ببطء لينزل الماء على

وجهها وتعيد النظر في المرآة مندهشة مما فعلته وخيل إليها أن صورتها في المرأة تتحدث إليها وتلومها

ما الذي فعلته يا عزة ؟
أتعتقدين حقا أن هذا التقلب
سيحببه فيك كي يختارك زوجة
فما أقبحك وما أقبح ذنبك !
أين أخلاقك يا عزة ؟
أهذا ما يملي عليك به القرآن الذي تحفظينه عن ظهر قلب ؟
ترى أين ذهب كل ذلك عندما حصلت على رقم هاتفه من صفحته
ولم تكتف بذلك بل سجلته باسم صديقتك كي لا يشك فيك احد من اهلك
ترى ألم يطلع الله على فعلك ؟
أم انك أعماك الحب وأنساك ذكر ربك ؟
فاتصلت به وأخبرته بما في قلبك
فلو انك صبرت واحتسبت لكان لك خيرا
ولكتبه الله لك أما الآن
أتعتقد أن يجعل الله لك في نصيبا
مخطئة لو تظنين ذلك

ترى ما هذا الذي يخاطبها بالطبع إنه ماضيها المشرق يعتب عليها حاضرها وما تصبو عليه في مستقبلها تتابعت اللعنات فلم تستطع عليها ردا

فلم تجد نفسها إلا وهي تقف في مكانها التي خصصته للصلاة تبكي وتبكي علي ما فعلته وتتمنى صدقا من الله أن تكون حلاله فما لدنياها من طعم دونه في رأيها وقررت أن يكفي الاعتراف ولا سبيل لأي شيء بعده

وا قد أفلحت إن صدقت فالحب دائرة تجذبك لمركزها جذبا فلعل لك القدرة على الخروج من ذلك القيد المتين

obeikandl.com

****

مر يومان وبركان فارس قد خمد نسبيا مستعينا بالصبر والصلاة فبهما وجد سلوان أنساه أمر عزة ومكالمتها الغريبة فكيف تقول له أحبك ولا تجيب بعدها وخاطبته نفسه قائلة :

علها تخشي أن تكون الإجابة بالرفض فيصبها بسيف مسلول في قلبها ليطبع فيه جرحا غائرا يداويه الزمان بأيامه

وتهاون في أمر سارة معه كذلك فلم يبد اهتمام بها ولم يتحدث إليها منذ أن حزن لأمه وما فعله أبيه و أن قال لها في رسالته :

إني بخير أحدثك غدا إن شاء الله

ما أتى هذا الغد أبدا وما أعادت السؤال عنه ولكن ما لم يغفل عنه هو أبيه فمنذ أن رأت عينه ما رأت وسمعت أذنه ما سمعت ... لم يحسن فارس المعاملة لأحد لم يحسن معاملة أبيه على وجه صحيح وبالنسبة للفجوة بينهما .. هو وأبيه.. التي عمل سابقا على إزالتها صار يزيد منها قدر جهده

فكلما نظر إليه تذكر المشهد وأمه راكعة تحت قدميه تضرع إليه وهو يرفع رأسه امتعاضا ويقول لها بكل برود .. إني لست بمسئول عنك ..

فيا له من قاسي فاقد لقلبه ! و يا لأمه من مسكينة !

رمها الدهر بدنيا زوال معلولة الجانب وإذ هو بالغرفة حجر قد ارتطم بالباب و يعلم أنها هي فماذا له أن يفعل قطعت عليه قدماه عليه وقت التفكير لطوله وقادته إلى الشرفة هي مشتاقة لرؤية سارة

وأخيرا رأى سارة تقف أمامه على وجهها علامات الريب مشوبة بشيء من الفزع تخشى اكتشافه لأمر صديقها بالمطعم

بينما هو كان بوجه تماما كما الأموات خال من أي تعبيرات مسلوب الحياة كما سلبت منه إرادته في الخروج عليها

نظر إليها مليا وهو يتأمل في ملامحها الشابة يغوص بين تفصيلاتها فسبحان من خلق فأبدع في خلقه وسوى التراب بأبهى صورة ألا وهو الإنسان

يناديها قلبه صارخا :

لم أ لأني بعدت عنك لفترة وجيزة التفت قلبك لغيري ؟ ... أما لي مكان بقلبك ؟

نادته سارة بتساؤل :
_ حبيبي ... ما بك ؟

لم يظهر أي تغيرا في ملامح وجهه الحادة على الرغم من أنه بداخله رج رجا لسماع تلك الكلمة ثم قال بلا مبالاة :
أسف شغلني بعض الأعمال عنك

_ وما يشغلك عني ؟ ألست حبيبتك ؟

أراد أن يخبرها أن كفاها تمثيلا فهو يدري لم تفعل ما تفعل من تصنع ويعرف سرها كذلك ولكن حارب كل هذا و قال :
بلا يا عزيزتي ... وجيد أنك قلت هذا فلنا الكثير لنقوله ولكن ليس هنا فلربما أحد يراك وعندها أكسر عظمه إن قال عنك شيء من قبيل أنك تواعدين الرجال

بثت كلماته في نفسها ولو بعض الاطمئنان رغم علمها أنه يجيد عادة إخفاء مشاعره ثم تابع :
ادخلي الآن ولنبحث عن مكان أمين لا يسمعنا في أحد فإني احتاجك لا مهم

واختار للقاء المطعم ذاته فخفق قلبها من ذكر ذلك ودعا صديقه فهد للمطعم بالوقت ذاته دون أن يعلمه بوجودها

ولكنه فهد الذي لا يخفى عليه شيء إلا مراد صاحبه فقد عرف بالفعل أنه ليس الضيف الوحيد في تلك الليلة

ولكن يبقى السؤال الذي دار برؤوس الكل ... ترى ماذا ينوي أن يفعل فهد في مكان به الفتاة الوحيدة التي عجز على أن يوقع بها و به صديق الطفولة فارس الذي كاد يلحق به أذى كبير منذ ساعات قليلة مضت ... فهل دعاهم فارس على العشاء حتى يتغذى هو عليهم معا ؟ ... ويضرب عصفوراه بحجر وحيد ألا وهو الموعد

أتى الليل والكل بانتظار ما يحمل فارس في جعبته وبحيلة أو بأخرى اقنع أهلها أن تذهب معه إلى هذا الموعد وأصطحبها من بيتها وهي في غاية السعادة أن تمشي معه جنبا لجنب

ارتدت حذاء يزيد من طولها حتى لا يبدو الفارق الكبير بينهما في الطول وهم يمشون معا وأمالت عليه فلم تبلغ إلا كتفه فأشارت له أن يخفض من رأسه حتى بلغت أذنه وقالت بصوت خفيض داعب أذنه :

أحبك ...

ثم طبعت قبلة صغيرة على وجنته فلم يزد إلا اتساع عيناه فابتسمت هي وعلى صوت ضحكها لردة فعله وهو يقول :

يا لك من جريئة

فهي غاصت بعالم الحلم وتخيلت من نفسها بالثياب البيضاء وهو يستقلها إلى عرسهما وتتعمق في عالم يغلفه الزهور عن بيتهما الذي بنوه معا ومن ثم طال حلمها عن العدد من الأطفال الذي تحلم أن يملئوا عليهم المنزل إلى غيره اللغط

هي تحلم وتحكي وهو لا يأبه ولا يعلق تمزق نيران الخيانة قلبه تمزيقا وينظر إلى ما سوف يفعله بهما هناك

ولكن أخيرا وصلا وقبل يدها و قال فارس بحمد :

وصلنا أخيرا إلى المطعم

دخلت وأشار عليها بأحد الطاولات لتجلس بها دون غيرها ففوجئت أنه اختار المنضدة ذاتها التي كانت تجلس مع غيره عليها

جلسا وخطفت بصرها على المكان إذ تجد فهد بالمكان يحضر الموقف و ينظر إليها نظرة المغلوب على أمره يجلس بالمكان ذاته في انتظار أن يملي فارس عليه بشيء ما فيفعله

أحست أن الدنيا تضيق بها وأن المشهد يكرر من نفسه وكادت أن تسقط رأسها على المنضدة .. من رهبة التفكير .. لولا أن وجدت يد فارس تمسك بها وتسندها

سقطت منها دموع عدة لا تعرف سببها غير أن شيء سيء على وشك الحدوث فمسح دموعها بإصبعه بلطف وهي لا تعرف كيف أن يأتي السوء من مثل هذا الملك الذي يحرص عليها أكثر من نفسها ثم ناداها :
_ سارة .. ! ما يبكيك أجئت بك هنا للبكاء

ردت بثقة مكتسبة من نظرته الحنونة :
بالطبع لا فهذه المرة الأولي التي نجلس بها وحدنا بعيدا عن بيتينا

ثم غيرت من نبرة صوتها وهي تقول :
إذن لم كنت تريدني ؟

_ أكثير علي أن أراك بعيدا عن البيت .. ؟ ... فكل ما في الأمر أن اشتقت إليك لوقت طال وأردت لي وحدي لبعض الوقت بعيدا عن الناس فأردت أن أجالسك ها هنا

سكت قليلا يفكر بحيلة ما قبل أن يقول :

_ وما رأيك بهذا المطعم الذي نجلس به ؟

من حيث ماذا ..؟ .. بصدمة بداية على وجهها..

وسألها فارس مجددا غير منتظر الرد :

_ وما رأيك بهده المنضدة تحديدا ؟

سكتت قليلا فهي تعلم منذ البداية أنه لن يمر هذا الموعد سهلا وقالت :

لا أفهمك

_ أعني هل المكان مريح حتى تتجدد به الزيارات بيننا .. ؟

مر الوقت في سمر بينهما قصيرا وبالنسبة إلى فهد طويلا فهو لا يعلم ما ينتظره وأصعب من الموت هو انتظاره

وبعد أن اطمئن قلبها تماما بعدم علمه بما حدث أمام عين صديقه أخرج هاتفه ليقلب به وهما يتحدثان حتى وصل إلى صورتها مع هذا الشاب ووضعها أمام عينها ثم ابتسم وعلت ضحكاته فترى عما يضحك .. ؟ فصدقا من قال أن شر البلية ما يضحك

بينما هي فتجمدت أطرافها عن الحركة و عقلها عن التفكير لم تعرف ماذا تفعل وكأن الزمن قد توقفت عقاربه وعلا صوت فارس مستغلا اتساع المكان تحت السماء قائلا :

_ أيتها الحقيرة بالمكان ذاته وعلي المقعد ذاته سحقا لك ولفعلك لكني لا ألومك في فعلك فتلك تربيتك وأنا الذي توقعت أن اخرج منك بزوج صالحة
ولكن لا يخرج الماس من القمامة وما أدهشني حقا هو كيف تقولي لي احبك بالأمس واليوم تهيمين بغيري .. ؟ .. أنت تجمعين بين كل شيء ونقيده .. أحتى في المشاعر .. ؟ تعبثين بالشبر كما تلهين بدماك ... تبا لهذا

obeikandl.com

كان الدمع المنهمر خير رد على ما قاله فهل لها من رد بعدما فعلت ؟

صدم فهد لما رأى من صديقه ولكن الأمر ليس بالمهم عنده انتزع من يدها هاتفه وقلب واجهته لتكون من مقدورها الرؤية ومن ثم عرض عليها صور أخرى و يقول وقد بدت العروق في وجهه من الغضب :

_ أنظري هنا ماذا عن هذه الصورة ؟ .. وهذه كذلك وهذه و هذه... وما هذا لحم عاري ؟ وهذا شعر مكشوف .. ؟

نظرت بعينين مدهشتين أن كيف وصلت تلك الصور إلى هنا ؟ فلا وجود لها إلا بحوزتها على هاتفها وفقط أخذ يقلب ويقلب عارضا تلك الصور معلقا :

_ أتعرفين من أين هذه شاهدتها على هاتف صديقي هذا .. مشيرا لفهد .. فما رأيك إن وصلت لشباب كثر ... ستسيرين بين الناس تضعين غطاء رأسك وكسوتك ... ترى وما فائدته ؟ وهم يعرفون شعرك عن ظهر قلب وفنيت عيناهم نظرا إلى جسدك العاري كل هذا وهي تبك لا تعرف ردا فقد نسيت لغة الكلمات وكان لعيناها لغة أكثر فصاحة

بينما فهد يتلذذ بذلك الأنين فكم تمناه وها هو قد كسر فيها كبرياء حواء و زاد صوت بكائها وخرجت من شفتيها الكلمات بصعوبة بالغة قائلا بضعف :

لو أقسمت لك لغد أن من في الصورة هذا عمي لن تصدقني ... وكذلك لو قلت أن لا وجود لتلك الصور إلا هنا مشيره إلى هاتفها

وضعت رأسها على منضدة أمامها وخرت باكية شعر فارس بقسوته عليها رغم عدم تصديقه ... وتذكر أنه هو من أخذها من البيت وهو من عليه هو إعادتها

فاقترب بكرسيه منها ورفع رأسها عاليا ووضعه على صدره محاولا أن يهدأ من روعها ثم همس في أذنيها :

_ كم أنت جميلة حتى وأنت باكيه !

ضربته بقبضتها الصغيرة على صدره وقالت برجاء :

أستتركني يا فارس بعد هذا ؟

نظر إليها مليا وقال :

_ لا لن أتركك وحدك رغم هذا ... فهكذا وعدتك يوما وستجديني متى أردتني

عادت إلي البكاء وهي تقول :

ولكني احبك ... لا ترحل عني ... لا ترحل عني

_ امسحي دموعك فهي غالية عندي كما تعلمين والآن أعيدك إلى بيتك.. حاسما الأمر ..

قالت سارة بحزم مستعيدة بعض كبرياءها رغم أنها لا تزال بين ضلوعه :

لن أذهب إلى أي مكان حتى أعلم ماذا ستفعل معي بعد اليوم .. ؟

تنهد فارس تنهيدة طويلة ثم همس في أذنها :

_ قلت لي قبلا إن تركتني وحدي سأقتلك وأنا لا اقدر على خصامك

ابتسمت رغم كل شيء وضربته أخرى في صدره برقه وقال هو بحسم :

_ الوقت تأخر وعلينا الرحيل

غلبت هي على أمرها للرحيل واستجمعت شتات أمرها بعدما سقط أرضا كبرياءها استأذنها فارس قائلا :

obeikandl.com

_ استقضين الليل بطوله على صدري ترى ما سيقول الناس .. ؟

أخفت ابتسامتها بينما هو ذهب ليدفع الحساب وحين ذلك نظرا .. سارة وفهد .. إلى بعضهما البعض بتأمل فبكلاهما شهور بغض وامتعاض متبادل وفهد يعاتبها في نفسه قائلا :

عمك ! أيتها الكاذبة

أما الصور فهو يعلم أنه سرقها من هاتفها بطريق ما لا يعرفها غيره

وفارس بالطريق يقلب كلماتها برأسه هل حقا ظلمها وهي بريئة ؟ ... وهل حقا كان هذا عمها ؟ أي عم هذا وهو لا يعرف لها أهلا ؟

ثم طرح الفكرة من رأسه فكيف تتعامل معه بتلك الطريقة وما تنتظر يا فارس من فتاة متناقضة في كل قول وفعل ... فخيرها يحمل طابع الشر ... شرها يأتي بالخير ...جمالها موحش لطغيانه المبالغ

بينما هو كذلك عائدا إلى حيث هي إذ رأى تجمع كبير بمكان جلوسهما وهذا فهد يمنعه الناس منعا بوجهه مشع غضبا ... وسارة تقف على الجهة الأخرى بثقة تضع يدها في خصرها تنتظر أن يقبل عليها في تحدي

فقد حال الناس بينه وبينها بعدما صفعته بيدها على خده صفعة سمع بها كل الحضور قائله بعزة :

هذا حتى لا تفكر مرة أخرى أن تعترض طريقي

ثم صفعته أخرى .. بعدما حجبه الناس عنها.. قائله :

وهذا لأجل الصور التي سرقتها ... أيها الحقير...

obeikandl.com

وأتى فارس متأخرا وأخذ صديقه وحاول تهدئته قائلا انه سيشفي غله ولكن ليس الآن فلا يشغل باله بذلك وتأكد أنه رحل وغادر المكان ومن ثم عاد إلى سارته تلك القطة الشرسة التي لم ترد مغادرة المكان خاسره فأي غنيمة تعادل الثأر من هذا الثعلب الذي ظن انه نال منها فما عاد إلا خائبا

عاد فارس إليها لم يجدها كما تركها فقد تركها باكية وعاد وهي صائدة غانمة تخطوا من الناس بالمطعم المفتوح بصعوبة بالغه وبعدما مضوا في السير أمال إلى أذنها وقال :

_ يبدوا أننا رجلان

فهمت قصده فأعادت ضربه برعونة في كتفه وهو يسير جارها

أتم إيصالها إلى بيتها بأمان وقد عادت كما ذهبت سعيدة ظانة أن شيء لم يكن وأن حب فارس لها لم يهتز حتى ولكن كان لفارس رأي مختلف فهو يتكلف الابتسام أمامها ومن داخله أنين قلب قد جرح بسهم شخص ما انتظره منه وكاد أن يرتطم رأسه بحائط على ما تجاوز وغالي مع تلك الفتاة

فكيف يمشي وهو يتأبط يدها ؟ ... كيف يسمح لها أن تقلبه ؟ وكيف يمس يدها من الأصل ؟

مئات الأسئلة طرحها على نفسه لا يدري لها جواب إلا الاعتراف بتقصيره ولكن بحق من بحق من أوجده من العدم فتعسا له فهو صاحب عقيدة هشة رغم الخلق و رغم التمسك بالقيم على أية حال ! ... وانظر حتى إلى ما كتب ذلك اليوم :

أبحث عن الأمان فأين أجد أماني ؟

فأماني في صدر ارتمي إليه

وأشكو به بثي وأحزاني

فهلا تكونين أماني ..؟

****

في وضوح النهار والناس عائدون من أعمالهم يحملهم التعب وباعة الطريق يعلون أصواتهم والحوذي يزجر حماره الذي أنهكه الحر وكذلك مالكه إذ يحمله أتعابا لا يطيق لها حملا وسط صرخات الناس وهتافات الباعة وأنات الشحاذين

تمر هاجر مرتديه نظاراتها لحمايتها من أشعة الشمس الحارقة ترجو أن تبتلعها الأرض حتى لا تلاحقها عيون الناس وألسنتهم فكما تضع لؤلؤة بين طن من القمامة فهي تبحث عن منجي ومهرب

وتري ما دفعها لذلك غير نصرة أبيها الفقيد رحمه الله فمنذ أيام ليست بالقليلة ... استجمعت قواها واقتحمت الحجرة على أمها ... فأخرجتها من حزنها الصامت المتواصل تواصل الأيام وقصت عليها كل ما رأت يوم أن ذبح أبيها فتبدل حزن أمها سرورا وما تمالكتها الفرحة أن قالت بشغف :

وأخيرا نقيم العدل و نتقتص من هذا المجرم اللعين وأخيرا يبتعد شبح أباك عني الذي يطالبني بالثأر على الدوام ويرقد في سلام

حمدا لله بابنتي ... كم أنت عادل يا الله ما سلبتنا شيء إلا لتعطينا خيره فصبر واحتساب بابنتي يجمعنا بأبيك في مكان أفضل ... أتذكرين كم طلبت من أبيك أن نغير مكان سكننا إلى مكان أفضل وقد أوشك ذلك ا أن يتحقق
فما خير من جنتك يا ربي ... تعلمين أنا سنحشر فيها أفواجا
قريب سترين أبيك يقود فوجنا إلى دار مستقر وخلد

رغم دهشة هاجر للتدين المفاجئ الظاهر على أمها على غير عادة إلا أن كلمات أمها تلك شغلت مكان ليس بالضئيل بذاكرة الصغيرة

وقد أسرعت أمها إلى لوحة وأعطت هاجر ريشة الرسم وقالت لها ارسمي لي ملامح وجه ذلك اللعين

طلبت منها هاجر أن تتركها وحيده فالرسم من أعظم هواياتها بحثت في ذاكرتها وبحثت حتى وجدت الضالة ألا وهي صورة السفاح فأخرجتها إخراجا بريشتها على اللوحة أمامها

بينما وكانت هاجر بهذا الحين بنت الثامنة عشرة بهذا الحي العتيق أمام بناية قيل لها أن هنا ستدلي بما رأته يوم الواقعة دخلت وقصت على الضابط ما رأته وكذلك أرته اللوحة التي بها صورة القاتل وانتهي المشهد بسرور الضابط لتعاونها معه وحدد معها موعد يعرض عليها به المشتبه بهم لتختار القاتل الحقيقي

فخرجت مسرورة سعيدة لما انجزت وذكرت أن الصمت على الإثم هو الإثم بعينه

لم تخبر فهد بأي مما حدث ولكن بمجرد أن عادت لبيتها أرسلت إليه صورة للوحتها وقالت له :
_ ما رأيك برسمي لقاتل أبي

وانتظرت كثيرا وكثيرا الرد ولم تجد إجابة

فهو في عمى منذ أن رأى تلك الصورة وهو يعرف صاحبها ...أجل إنه أخيه فتحي

لم يعقب حتى أرسلت إليه أخرى متسائلة :
_ هل تعرفه ؟

تملكه الفزع لما رأي رسالتها وحاول أن يتدارك خطئه قائلا :
كم أنت بارعة في الرسم .. ! ... فلولا أن قلت لي لظننتها حقيقية

لم تشعر بتغير الموضوع من قبله وقالت :

_ أحقا أعجبك رسمي

فهد بعد أن التقط أنفاسه رد بدهاء :
إذن تستطيعين أن ترسمي لي واحدة

هاجر بثقة :

_ أجل بالطبع نحت صورتك قبلا بقلبي فلا تفارقني

أحبك .. قالها فهد هاربا من صراع حامي في داخله ..

****

وبينما عزة تقوم بأعمالها برتابة تلقط اتصال انتزعها من بين كل تلك الصحون لم تدري ممن هو ولكنها ردت أخيرا :

_ السلام عليكم

رد فارس بود :

وعليكم السلام ورحمته الله وبركاته

_ من معي .. ؟ .. وهي تتمني ألا يكون هو صدرها لا يستقر بمكان فهو يعلو ويهبط ..

فقال هو رادا لها الكرة :
ألن يضايقك معرفة هويتي

_ من معي .. ؟ .. أعادت السؤال في ريبة ..

وهي تشعر أن قلبها قد اخذ عفو عن تكملة مهامه وهو يقول :

obeikandl.com

ابن خالتك فارس

_ آسفة.. حقا آسفة

ولم .. ؟ .. وقد شعر هو بالغموض ..

_ على ما قد قلت لك سابقا ... فلا اعلم كيف قلته ولكن دفعت دفعا

إذن الحب من طرف واحد إذن

_ ماذا تقصد ..؟ ... قل لي ماذا تعني .. ؟

أعني الكثير ... فكم فنيت عشقا ولم أجد لي حليفا في الحب ... ومن أحب تدعي أنها تحبني رأفة بحالي

_ أنا أدعي

ضحك فارس فعلى صوتهما معا وقد أزيل الجدار بينهما لفهم كل منهما الأخر

فرفقا عزة رفقا على من جرح في قلبه جرحا لا يلتئم

فهل تعوضين عليه ما خسره ؟

وأي خسارة تعدل من خسر جزء من قلبه ؟

فلتعديه يا عزة إلى نفسه ولتعيدي بسمته التي غربت أياما بطولها وإياك أن تختزليه فيهوي في ظلمات بلا دليل منجي

حويت الدنيا بما فيها عندما ملكت حبك ... فما فيها غيرك حبيبتي فتعالي ننصهر معا وارتمى علي ... نقوى معا ... و معا نقف في وجه الدنيا ومن فيها فأنا منك حبيبتي ... وأنت مني ... فتري من يغلب شوكتنا

هكذا غازلها فارس لترد هي في حنان :

obeikandl.com

_ كم كنت احتاج إليك أياما طويلة ؟ ... أين كنت تسند ضعفي ؟ فهنيء لي بك و لك بي ولنبني معا بيتا على شرعتنا ومنهاجنا فكم أريدك زوجا وأبا لأبنائي فمن يصلح غيرك

ليت أن لي حيلة فتزوجتك الآن ... ولكن لست أملك قوت يومي

_ إني ارضي أن أعيش في حجرة واحدة ولكن معك ... فمعك تكون قصرا

عجل بهم يا وقت عجل فما يحول بينهم إلاك ...
فلا تقس عليهم وقد مزقهم طول البعد ...
وخرب عقولهم تخريبا فما عاد لهم من الصبر شيئا وما تملك منهم إلا الجزع

مضت الأيام لا تزيدهم إلا قربا وحبا وما أن قص عليها ما حدث لأمه علي يد أبيها حتى اختارا معا أن يعمل حتى يحصل على مال يسد به فمه هو وأخيه وأمه وما كانت هي في حياته إلا مرطبا حتى في عمله الشاق كأن بيدها العصى السحرية والتي بها يصل إلى ما يريد وبها يطيب عيشه

****

obeikandl.com

وبالفعل أرسلت هاجر إلى فهد صورة من رسمها كما طلب منها فقال معقبا :

_ هذا ليس أنا

ولكن كيف .. ؟

_ إنه أجمل كثيرا مني ... أتحبين غيري أم تحتالين علي

هكذا تراك عيناي .. ردت عليه بعينين تلمعان حبا ..

_ ذلك لتزينها بلون السماء

بل أنت الجميل .. وقد تورد وجهها خجلا ..

أنهي حديثهما سريعا .. ذلك حيث طلب من هاجر أن تجالس والدتها أكثر حتى تخرج من عنق الزجاجة بعد أن تحسنت حالها ولو قليلا بمعرفة القاتل والمطالبة بالقصاص منه فجالستها مستأنسة بها وهي تحكي لها عن أيام صباها وأول يوم لقت أبيها به وكيف صبرت وتحملت ألام البعد عنه فهي حتى لم تفضح سر حبها له وتصف لها جمال أبيها أيام شبابه الأول وعن حب الفتيات له وتمنيهن لنظرة رضا وحيده منه رغم ما بهم من جمال ينهار جباله أمامه فيصبح رديئا لا قيمة له فلا يباريه عند وجوده ومن بين كل المهوسات كانت أمها

ولكن كان لها من الكبرياء ما يمنعها من الاعتراف بمثل ذلك فتبدو شامخة وما أهناها فقد فازت به لصبرها ودون هذا الصبر لم يكن لها تفوز به

تستمع هاجر إلى كلمات أمها فتغرق في معانيها وتتوه في قصصها ولكن اعتلاها الرعب حين وجهت أمها الكلام إليها بألا تخدع وتنجذب لأحدهم وإن وقعت صيدا

obeikandl.com

يوما فلا تكن غنيمة يستهان بها فلا تعترف بحب حتى تأتي الأيام ويعطيها الله ما اختارته أو يعوض عليها خيرا منه

سقطت الكلمات بأذنيها كالصاعقة كأن أمها تدري بسر بينها وبين فهد فقد دخلت الكلمات إلى أذنها ولم تمر من الجهة الأخرى خزنتها عندها لوقت حاجة

****

مرت الأيام علي سارة في رتابة ففارسها يبدع المعاذير حتى لا يحدثها كما العادة فكلما اقتربت منه أعرض عنها كأنها ثمامة بلا قيمة

فجلست مع نفسها تدبر له حيلة كي يعود أو حتى تعرف لهذا الهجر سببا فما أدناه منها منزلا وما أكثره عنها ابتعادا

بينما هو يقف خلف باب شرفة حجرته يتلمس سبيلا ليراها فرغم إعراضه عنها لا يزداد إليها إلا حنينا بتعد فارس عن الشرفة بعد أن يأس من رؤيتها فتذكر تلك الصور علي هاتفه لها اخذ يقلب ويقلب متأملا كل دقيقة بها

أهو انجذاب فطري للأنثى بحسب الفطرة ؟ ... أم هو رغبا في حمايتها ؟ ... أم كما يقولا للناس أنهما إخوة ؟

عجبا لذلك فكيف يجد في قلبك متسع لأنثيين دفعة واحدة وبينما هو يقلب إذ بهاتفه يعلن عن استقبال رسالة جديدة من عزة تقول :

انتظر مني اليوم مفاجئة من العيار الثقيل فزادت حيرته بماهية المفاجئة و لم يكن له من الوقت متسع للتفكير

فسمع اسمه ينادي عليه من أسفل بصوت لا يجهله وليس هو وحده من سمع الصوت فقد أسرعت سارة إلى غطاء لرأسها وأشعرت ومعها شيء كأنها تخرجه إلى الشرفة فوصلت هناك ولم تنظر إلى أسفل

ولكن نظرت مباشرة إلى شرفته حيث كان هناك فقاطعة وقوفها عن التقدم وتلبية النداء فتأملها مليا ووقفا أمام بعضهما البعض في شرود لبعض الوقت انتهى بضحكات سارة ثم دخلوها مهرولة خجلة ومغضبة

وذلك لان فهد قد الغير النداء ... من فارس إلى يا روميو اترك جولييت وانزلي قال ذلك مرارا بنبرة ساخرة مما دفع فارس إلى أن ينزل مرغما ولم يستطع أن يخفي حزنه الذي صار ملازما لقسمات وجهه فقال فارس بجمود :

ماذا تريد يا فهد الساعة

_ لم كل هذا الحزن البادي ؟ لا عليك فلا شيء بالدنيا يستحق

أومأ فارس برأسه فقط لكي يتابع فهد :
ثم إن هذه البسمة فتياتك يحتجنها بشدة

ابتسم فارس رغم عنه واستحالت البسمة غضب

_ أسف ألست من علمتني أن التبسم صدقة

أجابه فارس بحسم :

لم أتيت هنا ؟

نظر فهد بساعته ثم قال أن لم يبقي أمامهم إلا نصف ساعة فقط ... فليصعد ويرتدي أحسن ثياب فما ينتظره كثير

إلي أين ؟

_ بالتأكيد المطعم ذاته ... ولن أجعلك تدفع جنية واحدا اليوم

أليس الوقت باكرا .. بإنكار ..

obeikandl.com

_ تعال أولا ومن ثم تفهم كل شيء

ويلي منك يا فتى ويلي منك

وبالفعل وصلوا لمطعمهم في الأرض الفسيحة فكم حملت منضداته من أنين العاشقين وكم سوي عليها من النقاشات !

فما يمتاز به المطعم عن غيره أنها تحفظ الأسرار فلا تشي به إلى أحد لاتساع المكان بالهواء العليل الذي يداعب الجالسين حينا ويغضب عليهم حينا أخر فيكون ريحا قوية تنتزع الحضور

دخل فارس وفهد يسبقه حتى وصل إلى طاولة بعينها كذلك يراه فارس من بعيد يجلس على تلك الطاولة فتاتان سلم عن الأولى وتعذرت له الأخرى عن السلام لم يستطع فارس التعرف عليهما لأنه يأتي من خلفهما ولا يرى وجهيهما

ولكنهما يبدوان مألوفان بالنسبة له فنسيم هوائهما يصله من بعد ولا يجد فيه غرابة

يرى فهد يجلس قريبا من الفتاة التي سلمت عليه ويترددان إلى بعضهما مسرين عن الفتاة الأخرى ... فأدرك فارس اللعبة أخيرا من تدبير فهد أن يجلس فارس مع تلك المجهولة فتباطأت خطاه وهو يفكر ثم يفكر حتى وصل إلى الحل أخيرا

قرر أن يمر من أمامهم سريعا حتى يبلغ طاولة أخرى مقابلة لطاولة فهد ومن هناك يتعرف عليهما يرى المجهولة تلك تنسحب بكرسيها بعيدا عن فهد وصديقته بعدما تحدثت معه عن أمر ما

أسرع فارس الخطو ليبلغ تلك الطاولة المقابلة دون أن يوقفه احد وبالفعل بلغها بسلام فسحب الكرسي للطاولة ببطء وهو يستدير إذ رأي ما لم يكن في الحسبان فما تلك الصواعق التي تهطل من سماءه تباعا دون أي رحمة

مسح فارس عينيه وأغمضها مرات عديدة حتى يصدقها لبه ولكن دون فائدة فهي كما هي دون تغير

رآها تجلس منزوية على طاولة فهد نعم عزة التي تسكن الريف مسيرة ساعتان

تجلس على بعد أمتار قليلة منه تقلب عيناها في المكان بحثا عنه فهي لم تدركه بعد يتملكها شيء من الخوف الفطري الذي يصيب طفل باحثا عن أمه فهي في عالم غريب عليها يكفيها أن تعرفه فيه ...وما الدنيا بدونه شيء في عيناها اللامعتان ؟

بينما هو يتمني أن تبتلعه الأرض قبل أن يراها تجلس إلي فهد بمكان كهذا فهو يغار عليها من نسمات الهواء التي تداعب صفحة وجهها

ضغط فهد على كتفها فنظرت له نظرات يعلوها الغضب و سرعان ما امتص غضبها حيث أشار لها إلى مكانه قائلا برعونة :

ها هو فارسك ... يظن أنه يختبئ مني بعيدا

نظرت حيث أشار إليها هو يجلس على كرسيه واضعا ساعديه على الطاولة مستندا عليهما ينظر إليها بنظرات شديدة من كثرة الغضب

فهو يتساءل كيف أتت إلى هنا ؟ ... وكيف تجلس بجوار ذلك الدنس فهد

بينما هي اتسعت عيناها من هذا الاستقبال المخيب للآمال وسرعان ما لانت قناته عندما أطال نظرا إلي عيناها الساحرتان فأكنه قد نوم مغناطيسيا فعيناها شمسان تسقطان على الأرض نورا فيرى بهما الوجود ضياء

انتزعه من سيطرتهما عليه صوت الهاتف كأن سافرة الرحمة أخرجته من ظلمات الرق إلى الحرية وابتسم لما رأى اسمها على شاشته وجاب مكالمتها

_ السلام عليكم

وعليكم السلام ... حبيبي كيف حالك ؟ .. ذاك صوت سارة الحنون ..

_ بخير ألم ترني منذ قليل في الشرفة .. ؟

بالطبع ولكن اخش عليك من كيد الصعلوك فهد

_ أتنسي أنك نلت منه بما يكفي

ألم ترى ماذا قال في الشارع الآن .. ؟ ... دون حتى أن يرانا واقفين سويا

_ أجل تذكرت وما فعله بي لاحقا كان أعظم

اخبرني أخبرني .. قالتها بفضول قاتل ..

فقص عليها ما كان وكانت ردودها

فتيات مع فهد ! .. أتمني أن أراهن من ترضى أن تجالس مثل هذا الحقير ؟ .. زرقاء العيون مع فهد .. ؟ يبدو انك صدمت في رأسك يا فارس ولم تعد ترى جيدا

هم يتبادلون الضحكات وعزة من أمامه يأكلها الغيظ وفهد يخبرها :

بالتأكيد يحدث سارة المتكبرة

وبينما فارس يبخر سارة أن احدى الفتاتين هي عزة ثارت سارة كبركان خامد :

أتلك من قلت في طيبتها وحسنها شعرا ؟ أتلك المتمة القرآن حفظا ؟ أين الأخلاق في أن تجالس احد كفهد ؟ وفي بلاد لا تعرف فيها غيرك

_ أجل أجل كل ذلك من أجلي

من أجلك أنت ؟

obeikandl.com

_ إنها قادمة توا هنا ... أحدثك لاحقا

انتظر هنا يا فارس ابق معي ... إني آتية إليك لكي لا يخطفك مني أحد في أي مطعم أنت فارس أجبني .. ؟

وترى هل يترك من أتت من الريف ترجو أن تراه لأجل خائنة يعاملها لطفا لعهد أخذه على نفسه اقتربت منه عزة ببطء ويكأن الموت يدنو معها فلا يتوقع للحظة ذلك الدنو رغم انه أحب ما يكن لقلبه المكلوم

وصلت حيث هو وسحبت الكرسي إلى الخلف قليلا لتجلس وقالت بصوت آت من بئر عميق :
_ السلام عليكم
وعليكم السلام ... كيف أتيت إلى هنا ؟ ... وكيف لم تخبريني ؟ و ما الذي دفعك إلى الجلوس مع فهد ؟ ومتى عرفته هو وهاجر ؟ وهل يعلم أهلك أين أنت الآن ؟ وما ..

استوقفت عزة مطر تساؤلاته :

_ تمهل ما كل ذلك سأحكي لك

وقع نظرها أرضا لاحتقان وجهة بالدماء وقالت :

_ إني هنا لبعض شأن أهلي ... تخلصوا مني وقالوا اذهبي وأقضي تلك الحاجة بالمدينة عالمين أني لا اعرف شيء فيها

تدخل فارس باندفاع :

ولم لم تتصلي بي أقضها عنك

عزة مهدئة للأمر :

_ أما اتصلت بك اليوم وقلت لك أ تنتظر مني مفاجأة اليوم

أجل

_ و هأنذا ... أما رؤيتي لك أفضل مفاجأة

سكت فارس برهة ثم تابع وقال :

وماذا عن فهد وهاجر ؟

_ تعرفت على هاجر منذ قرابة شهر وأصبحنا صديقتين وحكت لي بأمر فهد ولم يخف علي انك صديقه فلا يصعب أن تصل إلىSad smile هذه الأيام

مط فارس شفتيه مزمجرا :

تبا ل Sad smile

_ .. بينما هي تكمل .. وعندما قرر أهلي أن يتخلوا عني ... اتصلت بهاجر وأخبرتها أني هنا فقالت لي بأمر المطعم ... وقالت أنها ستخبر فهد ليصطحبك إلى هنا يا فارس من أجلي ... بعدما نجلس معا أنا وهاجر بعض الوقت وها أنا أمامك

رفعت عينيها عليه تتفقد ملامحه الصارمة التي لم تتغير فأحست أن محاولتها بالفشل

و قطع حديثهما النادل وهو يقول ناظرا إليه ماذا تطلب يا أستاذ فارس ثم مال إلى أذنه وهمس بمكر :

وأين هي الآنسة سارة ؟

ازداد لهيب فارس انصهارا ودفع بالنادل وقال بحنق :

إن لم تغرب عن وجهي فسألقنك درسا لم تنساه

فذهب .. ! وكيف أن يغفل احد في المطعم عن فارس وسارة وفهد بعدما كان يومها أما هي فالتقطت أذنها الكلمة وقالت مستفسرة :

_ سارة ما أتى بذكرها هنا وكيف عرفها النادل ذاك

لا عليك ... فأنا لك وحدك اليوم ... حدثيني عنك

وانصهرا معا في الحديث فلا تميز بين كليهما من شدة الحب حتى ظهر صوت الهاتف عاليا ... وإذ بها تقف ثم نظرت من حولها يمينا ويسارا بحيرة وضاقت بها الأرض لتسقط مغشيا عليها ونظر فارس إليها بذهول فترى ما غير حالها هكذا ووجه بصره تلقاء الهاتف إذ يرى اسم المتصل طارق

ترى من يكون هذا وما دفعها لذلك وما فعل لكي يغشي عليها هكذا ؟

لم يطل تفكيرا حيث أنها ملقاة أمامه كملك بريء لم يصل إليه دنس نظر في الحضور نظرات خاطفة فلم يجد من يأممن على حملها ولم يجد إناث غير هاجر ضئيلة الجسد نحيلة القوام

أخذ القرار وانطلق إليها وحملها بين ذراعيه بسرعة ونظر إلى وجهها الرقيق فما ارقها ومن ثم دلف بها وهي بين ذراعيه متجه إلى باب الخروج وسط نظرات إشفاق واستهجان وضحكات النادل الذي قال :

عجبا لك يا فارس بالأمس سارة واليوم هذه ترى ما ينقصني كي أكون مثلك

وصل فارس إلى الخارج ولم يكد ينظر حوله إلا ووجد فهد يشد على كتفه وهاجر تتفحص صديقتها وهمس بأذنه في خبثه المعتاد :

من مغفل يبكي بدر كهزة ويجعلها تسقط هكذا

امتلك فارس نفسه بسبب عزة التي بين ذراعيه وهي تنطق كلمات لا صلة بينها :

لا أريد هذا الفظ ... لن أتزوج به ...احمني منه يا فارس

امتلئ قلبه بريب من تلك الكلمات وعلم أن هناك سر ما أخر خلف هذه الزيارة المفاجئة

وقف في منتصف الطريق _ فهذا الجزء من المدينة خال من السكنات_ حتى يوقف أيما سيارة تمر حتى يسعف المسكينة عزة بأقصى سرعة ولحسن حظه كانت السيارة التي تمر الأولى هي سيارة أجرة فاستقلها وهو يطلب من فهد أن يسدد حسابه بالمطعم

وبالسيارة طلب من السائق أن يسرع لأقرب مشفى

وفي الطريق من حين لأخر يمرر يده على وجه عزة ويضغط على أناملها برقه لعل جسدها يقل ارتجافا ولسانها يقل هذيانا

والسائق يتابع كل ذلك في صمت ويتابع أيضا عينا فارس المذعورتين وقرر السائق أخيرا أن يحد من توتر المشهد فسأل فارس قائلا :

ما دهاها زوجتك يا أستاذي ؟

لم يعقب فارس غير أنه رفع يديه وقال يا رب أجعل لكلماته نصيبا من المستقبل

ومر الوقت ووصلا إلى المشفى وحملها من جديد ووجهها تبدو عليه علامات فزع كأنها رأت الموت وبقوة وسرعة لم يعرف فارس أنها به دلف إلى الداخل وتغضن جبينه وهو يصيح بموظفي الأمن ويدفعهم دفعا ليبتعدوا عن طريقه وما راعاه أنهما يلهثون وراءه ووصل إلى موظفة الاستقبال وصاح فيها بقوة وهو يسمع أنينها بين يديه :

أريد طبيبا فورا و لك ما تريدين ولكن أسرعي

أتاه الرد مضطربا :

بالطبع سيدي سأرسل في طلبه ولكن ما بال زوجتك ؟

رفع صوته وكأن المبنى بأكمله يرتعد خوفا منه حتى جاءه الطبيب مسرعا وحملت عزة منه على فراش متحرك وفي غضون دقائق خرج عليه الطبيب

ففهم فارس مما قال الطبيب أن الأمر مجرد صدمة عصبية وهي الآن تستعيد وعيها شيئا فشيئا و طلب فارس من الممرضات أن يتركوهم سويا وجلس إلى جانب رأسها على الفراش وهو يرفعها براحة يده قائلا ولم يخل وجهه من البسمة :

حمد لله أنك بخير

وهي ذهلت من الموقف وأنهما معا بحجرة واحدة فتراجعت على فراشها قليلا ولم تخل نظراتها من الريبة فحاول تهدئة الوضع بأن قام من على الفراش وتراجع وهو يقول:

لا عليك هذا أنا فارس

فاغرورقت عيناها بالدموع وبكت أشد بكاء وهي تقول كلمات متقطعة :

_ هجم علي ... طارق ... ليلة عرس

ثم سقطت من جديد وبعد ساعة أفاقت على صوت فارس وهو ينهي صلاته فقالت وهي تشير إليه أن يدنو منها :

_ حمد لله انك أنت من بجواري ليس هو

لم يعقب فارس حتى لا تزداد الأمور سوءا جلس بجوارها وهو يرقيها بما حفظ وبالفعل ما هو إلا وقت قليل وقد خرجت من المشفى تستند على ذراعه خاطفين كل العيون ... كم أن هذا الزوج مخلص !

سارا بالشارع بلا هدف وقد سقط في أذنه ما لا يسره فهي تقول له:

_ أرجوك فارس لا تتركني أعود لهم ... أتعرف منذ شهر تقريبا دخلت المنزل لأرى أناس غريبين فيه يجلسون إلى أبي وهو على وجهه السعادة وأمي تغرد وأختي تهنئني وتقل لي مبروك يا عروسة وبعدها فهمت أنني قد خطبت لهذا الكهل الذي لم أره قبلا وعرفت أنه موظف بأحد المصالح الحكومية في العقد الثلاثين من عمره ... ومن يومها يطاردني حتى في أحلامي و بدأ أهلي يسيئوا لي بالمنزل لأني لا أحسن معاملته ولا أتودد إليه رغم أنه يبذل من جهده الكثير ليسعدني

_ هكذا كلامهم ... وأنا اليوم هاربة منهم أبحث عنك ... فلا أبغي زوج غيرك فغدا هو كتب كتابي على هذا الكهل طارق ... ولن أعد هناك إلا وأنا جثة هامدة فكيف بي ولم أبلغ الثامنة عشرة من عمري يزوجوني من كهل لا أعرف عنه شيء وليس إلا أسبوع لأذهب إلي بيته

_ فارس لم لا تجبني ؟ ... أتتركني لهم !

لم يملك فارس نفسه فكانت الدموع أفصح من أي شيء أخر .. وسكت قليلا وقال بعمق :

تذكرين أول يوم حدثتك فيه وقولت لك ... لن يتم لنا الله بخير إذا تعجلناه ... لذا فما لي إلا أن أذكرك بأنك يجب أن تعودي لأهلك وألا تعصي أمرهم فقد أوصاك الله بالطاعة

_ إذن تتخلي عني وتتركني كالمتاع ... وأنا من سافرت بلادا طلبا لحضنك وأمانك

والله ما في قلبي غيرك ... ولكن ما باليد حيلة فأنا أملك نفقتي بالكاد وكيف أحبسك عن أهلك

_ أهلي من رموني كالذئاب إلى بيت غريب لا أعلم عنه شيئا غير اسمه ومهنته أي أهل هم

سامحهم الله .. قالها فارس بتأثر ..

_ إذن تفضل هذه

نظر لما أعطته بإنكار فأرادت أن تزيل الغموض وقالت :

_ هذه دعوة لعرسي فلا تتأخر عن الموعد

وتركته وانطلقت من حيث أتت و عاد فارس مهموما محموما وقد سقط في يده ولما اقترب من البيت رأى نظرات الشفقة من كل جانب بالحي وكثير من قال له :

هون عليك يا بني كلنا سيموت بلا شك

لم يفهم شيء سوى الخوف فأي باب طرق الموت في بيته لا يتمالكه إلا الذعر فصعد السلم وفتح الباب ليجد ما لم يتوقعه بالمرة

قد ماتت من غفل عن مرضها وكأنه تعاتبه لهجرها لمرضها فهي جثة مطروحة أرضا أمامه إنها أمه أغلى ابتسامة رآها في حياته

فبسمتها أمامهم كانت تبطن معها أهات كثيرة فيا لها من مقاتل مغوار عانت الأمراض بلا معاون فزوج متخاذل وأبناء في شغل عنها

فقد لسان فارس القدرة على النطق فيا لقسوة الأيام تلي الصاعقة ما هي أشد منها من النوازل

فما هذا الثقل شقي قلبه بضربه واحدة ؟

الكل يستعد للدفن وفارس يجلس على كرسي يستجمع فتات نفسه فلا يقوى على شيء من الصمود بعدما أمهله الدهر فليس له غير الرضوخ لم هو آت أيما كان

الكل في شغله فأبوه يبحث عن المغسل وأخوه في غرفته تتعالي صرخات نداءه :

أمي ... أمي ... أريد أمي

دخل فارس إلى غرفة الفقيدة وجلس جوارها ومن ثم أغمض عيناه وأخذ يحاول أن يقرأ يس بعينين تنزفان دما ما خرج منه صوت بعيدا فقد ثقل لسانه وبيد أنه أتمها وهو يبكي قائل :

لماذا ... ؟ عزة ومن بعدها أمي ما فعلت لكل هذا

أتاه صوت أشبه بصوت أمه ... صوت يدوي بأركان الحجرة :

من تخاذل في حق ربه ليس له غير اللعنات

ولعل الله بها يكفر عنه بعض ما اقترف من آثام

فلتجن أيها العابث ثمار ما فرطت

صمت دقائق مر أمام عينيه كم عبث أخر أيامه

مر أمامه هجره لأمه المريضة ... مر أمامه قبلة طبعت على وجنته من سارة ... مر أمامه عزة وهي بين ذراعيه فارا من المطعم ... وفي تلك أول عهده بكلتيهما ... وفي الختام يرى سارة المختفية القابعة بغرفتها ... عزة التي ضاع ماضيها

أفاق على صوت دوي عال بالمكان وهو الشيخ خليل الحصري بصوته الرخيم يتلو قول الله تعالى

وفرت منه الدموع تلو الدموع وهو مطرق الرأس خائب السعي يقول :

رحم الله أمي ... فقد ماتت من رحمت يوما لأجلها ... رحم الله أمي وجعلني خير سلف يدعو لها

obeikandl.com

قام وتوضأ واحضر سجادة الصلاة الخاصة به وصل بنفس الحجرة التي بها جثمان أمه وضل عنه الوعي ساجدا

ولم يفق إلا ويد تخرجه من سجوده ومن الحجرة كلها ... لا يتبين لمن هي تلك اليد ولكنه سمع صوت قال :

أخرج يا فتى ... وهون عليك ... فإنه وقت الغسل

وعلم أن ستدفن أمه بعد المغرب مرت الساعات وكأنها لا تمر حتى وقف على قبر أمه وسط جمع من المشيعين و غشا التراب أمه وهم وقوف ترتعد أجسادهم من قمم الرءوس إلى أخامِص الأقدام وفارس يسمع المنادي يقول :

اللهم أبدلها دارا خير من دارها وأهلا خير من أهلها

فبكي فارس أحر بكاء فكم قصروا في حقها فماتت دون صراخ وهي باسمة كما عاشت باسمة

وقف فارس يتلقى العزاء وهو في ذهول لما يحدث من حوله هل سيرحل ويتركها هنا في الوحشة وحيدة

بينا ذهب الكل ورحلوا وبقي فارس وهنا استرعاه أنشودة مشهورة دوت كلماتها بعقله

مالي وقفت على القبور مسّلماً

قبر الحبيب فلم يرد جوابي

أحبيب مالك لا ترد جوابنا

أنسيت بعدي خُلة الأحبابِ

قال الحبيب : و كيف لي بجوابكم

obeikandl.com

و أنا رهين جنادل و تراب

أكل التراب محاسني فنسيتكم

و حجبت عن أهلي و عن أترابي

فعليكم منى السلام تقطعت

مني و منكم خُلة الأحباب

زفر بقوة وحرك رأسه طاردا تلك الكلمات بعيدا ونظر إلى موضع القبر قبل أن يستدير ويرحل ولكن ما هذا بحق السماء !

هذا جسد أمه يقف فوق القبر ولكن الضوء ينفذ من خلاله وينظره الظل فما ذاك ؟

وما راع فارس الدهش فهو لقي في أواخر أيامه ما لقي وأقبل عليه ومجرد أن دخل البناء الذي فيه موضع القبر وتساءل :

أمي أنت حية ؟ ... كيف وأنا أقف أمام قبرك ؟

قال الظل غير مرتاع بما قيل :

أحملك يا بني الآن قصة قد دفنتها الأيام

فأخفت معالمها لن يخبرك بها إلاي ... فاستمع جيدا

قد كنت يوما بين أهلي زهرة

حتى أن طرق بابنا الوقاد

ألقى السلام على أبي مسلما

obeikandl.com

ونظر إلي بعين الراغب

فنظرت له نظر الحمل لعيني ذئب

وسأل أبي يدي لما له عليه من فضل

ما كان لأبي أن يرد سؤاله

هو من أخذ الزمان شعره لمشيب وأنا بنت المدارس ولا أعرف لما يخوضون مآل

و إلى بيت لا أعرفه قد حملت وبداخلي كلني السؤال

هل لي في العيش بقية أم الأفضل أن احمل إلى المنال

وما كدت أن أسعى للمنال بقدمي حتى حطت أنت بدنياي

وها هنا قد وجدت جواب فعشت لكم دون نفسي

وها أنت ترى ما خلفت ورائي

قالها الظل مشيرا إلى الرمس ... ومن ثم تبخر في الهواء بعد أن أراح قلبها من حمل تنوء به الجبال الرواسي فهو يحاول أن يضمها إليه فما حوي بين ذراعيه إلا سرابا

****

وسط صخب الحديث فما أثقله لأناس قد وقفوا خلف أسوار قفص الاتهام ينتظرون إلام يلقي بهم القدر فهم كالممسك بخيط بالي فإما النجاة وإما السقوط وما أحبه إلى قلوب المطالبين بثأرهم ليشفوا غليل صدورهم في ساحة القضاء

وفي الصف الأول يجلس عن اليمين هاجر مستندة إلى أمها والتي لا يكف لسانها عن التسبيح والحوقلة وتذكر هاجر يوم أن عرض عليها من المتهمين الكثير ومن بينهم

obeikandl.com

فتحي فأشارت له ومن ثم أغمضت عيناها وسقطت على الكرسي من هول أخر مشهد رأت فيه الرجل فما كان منه غير الزمجرة

حيث طارد عقلها شبح الذكرى ذكراه وهو يقطع جسد أبيها أشلاء فمتى ترتاح من تلك النوازل

ولما قرأت اسمه فتحي خليل علي ولم يكن بالغريب على ذاكرتها ولما عادت لبيتها نظرت صورة فهد التي رسمتها هي بعناية وقالت :

طاب لي العيش أخيرا يا حبيبي فاليوم وفقط عرفت من أودع بي ذل اليتم وألحق بي خزي الأبد وأخيرا يزورني فرح غاب عني منذ زمن

وقد هربت السكينة من عينيها وتملكها الذعر ثم عادت تنظرها

فقرأت من جديد أسفل الرسم كل

ولما فرغت من مقولتها أقبلت على ورقة الرسم واحتضنتها ولكنها أخيرا طرحتها أرضا وتراجعت للخلف مات خطتها بيدها تحت الرسم كما أخبرها هو أن تكتب ... سجين القلب / فهد خليل علي ...

فصعقت من تلك المفاجأة وأي مفاجأة وقالت بصوت حبسته الحجرة عن أمها بالخارج :

أطلب الأمان بين ضلوع خائن ... سلب أخاه مني ثمرة فؤادي ليأتي هو ليخطف مني قلبي ويسلبنيه

فتملكها الحزن تجرعته أياما أخر ... لم يخرجها منه إلا حنان أمها بعد أن أفاضت عليها من ما في قلبها فتألمت لما فعلت ابنتها وطلبت منها العود إلي الله والإكثار من الاستغفار فهو ممحاة لذنب والصلاة على الحبيب فهي نورا للقلب وحثتها على الصبر

فمن تعجل شيء قبل أوانه عوقب بحرمانه فعليها أن تقطع كل وسيلة للاتصال بينهما فابتلعها سواد الأيام منه

وعن اليسار يجلس فهد وحيدا دون عائلته فهم قد تبرءوا من فعلتهم الشنيعة وإنجابهم لهذا السفاح الدامي لا يبدوا على فهد أي انطباع ولا يتحرك له رمش كصنم لا يعرف غير السكون على غير عادته المشاكسة المرحة لكنه من الحين للحين يقلب عيناه إلى أخوه وهو خلف القفص فعلها المرة الأخيرة التي يراه فيها

وثم إلى هاجر التي هام بها لا يعرف كيف يصارحها أنه أخا لمن جعلها يتيمة ... لمن أدخل الحزن إلى بيت لم يعهد أن يسكنه الحزن إلا لماما

وهي لم تجب عليه منذ أيام طويلة فعله أخر وداع لكليهما ويقطع كل ذلك صوت الحاجب ينادي جاهرا بصوته :

محكمة

ليصمت الجميع احتراما وإجلالا ويدخل من علق على عاتقه أرواح الكثيرين و الكل متأهب لسماع حكمه فليعينه الله على تنفيذ قضاءه يمشي القاضي أمام الحضور بوقار إلى مستقرة ومعه مستشاران

ألقى نظرة على الحضور وطلب أن ينادي على القضية التي امتلأت لها القاعة وهي مقتل الدبلوماسي الأشهر محمد عيد في منزله والتمثيل بجثته أمام عيني صغيرته

والمتهم فيها فتحي خليل علي وبعد مرافعات طويلة من محاميا كلا الطرفين سيتم النطق بالحكم بعد استراحة قليلة

الكل هنا متأهب لسماع الحكم بقضية أثارت الرأي العام فقد كان للسيد محمد عيد آراءه والتي عام على هواها الكثيرون لم يكن دبلوماسيا فقط بل و كان يدعو لدوله تحكم بما أنزل الله من دستور لا عوج فيه لا يعرفه نقص ولا خلل و من سنه نبي ما نطق عن هواه

وكان له عدوانا صارما على كل من أباح الدم دون سند من جماعات التكفير المدعية بتطبيق الشرع وما هم منه بشيء فكان أول من أبيح قتله في لائحتهم من الأسماء المطولة

وكان فتحي أحد أياديهم البعيدة فلما سقط بين يدي الشرطة تخلوا عنه وتركوه دون معين ... مما دفع به للاعتراف عليهم لقطع دابر الفساد فهل يكن هذا له شفيعا ؟

دعونا نتابع

رفعت هاجر عيناها إلى أعلى القاعة وهي تقرأ الآية الكريمة التي حفرت أعلى مجلس القضاة

(وَإِذَا حَكَمْتُمْ بَيْنَ النَّاسِ أَنْ تَحْكُمُوا بِالْعَدْلِ) (58) النساء

فسرت الطمأنينة بأركان قلبها وأضفت على جسدها القناعة لما قد قسمه الله لها من نصيب

فأي انتشاء هو ذاك في لحظات أنس مع الله وبالفعل مرت الدقائق كعمر بأكمله ... على فتحي وهو في قفصه فما كان اعترافه إلا كقول فرعون الأخير

(آمَنْتُ أَنَّهُ لا إِلَهَ إِلا الَّذِي آمَنَتْ بِهِ بَنُو إِسْرَائِيلَ) (90) يونس

أ الآن ؟

خرج القاضي أخيرا لإعلان حكمة فقال برسمية :

بسم الله والصلاة والسلام علي رسوله

قال تعالى : (وَلَكُمْ فِي الْقِصَاصِ حَيَاةٌ يَا أُولِي الأَلْبَابِ) (179) البقرة

obeikandl.com

بعد الاطلاع علي أوراق القضية وشهادة ابنه المجني عليه واعتراف المتهم بقتل المجني عليه / محمد عيد قررنا نحن إحالة أوراق المتهم/ فتحي خليل علي إلى فضيلة المفتي ...

وهنا علت الأصوات في القاعة حتى لا تكاد تسمع صوت القاضي فبين مؤيد ومعارض تفقد عقلك ودعنا من العوام

فهنا أم هاجر تحتضن ابنتها المتجمدة بمكانها إلا عيناها تذرف دمعا وأمها تعلن نداء داخلي آت من قلبها :

حمدا لك يا الله ... حمدا لك يا الله

وهنا فهد لا تعلو له رأس من بعد خفض رايته وخسارته لأخ اكبر أتى إلى الدنيا وكأنه لم يأت ... فلن يذكره أحد بخير ... فكيف يحكي عنه للصغار ؟ فهو يغادر القاعة وسجل أخيه يطوي ويرمي في نفاية التاريخ

مرت الأيام وتم تنفيذ حكم الإعدام شنقا قبل موعده ولكن ليس من قبل الأطراف المعنية بذلك بل حدثه محدث مجهول قبل أن يذهب إلى سجن انتظار تنفيذ الحكم ما جعله هو من نفذه بالاستعانة بثيابه الحمراء وجدوه مشنوقا وهم مقبلون على تنفيذ حكمه ... فأقبح بنهايته !

مرت أيام أخر وإذ بفهد يتلقى رسالة من هاجر تؤذنه فيها أنها الأخيرة وتقول :

البقاء لله ... وبعد ..

إني بخير وقد أرشدتني أمي إلى طريق الحق

وعلمت أن كل ما كان بيننا يوما

هو حرام ومغضب لله عز وجل

فليسامحنا الله على ما كان وليقبل منا القادم بإذنه

و ادعوك يا فهد للهداية وأطلب منك

*ألا تعمل على الوصول إلى _ وأني لأعلم أنه بإمكانك_*

فلا تحملني ما لا طاقة لي به

إن كنت حقا تحبني كما أحببتك

فتب إلي الله وعد إليه

وتذكر من قال:

(عبدي لو أتيتني بتراب الأرض خطايا

ولا تشرك بي شيئا غفرت لك ما كان منك ولا أبالي)

وإن كنت تحبني حقا فتعال إلى باب البيت لأكن لك زوجه

وكم يسعدني أن أنتسب إليك

إني سأنتظرك ...

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته

من أخلصت في حبك يوما / هاجر عيد

****

obeikandl.com

كما عادتها الأيام تنسي وما أصعبه الظن السيء ففارس يفطن أن صاحبه قد تخلى عنه يوم سقوطه وكذلك هو فهد يحسب فيه الخيانة وقت ما أراد مرشدا يهديه إلى صراط سوي

فامتعضا عن بعضهما وأشاحا أبصارهما بعيدا عن بعضها وافترقت طرقهم بفعل يد خفية أزاحت بينهم

وسارة التي اختفت بين طيات البيوت فأين ذهبت لم يرى منها أحدا بين المغذين ولم تخبره بحرف من حروف المواساة

وصل فارس وحيدا .. فلم يرد أن يكون ثقيلا علي أخيه ويطلب منه أن يصطحبه ولم يمر أسبوع على فقد أمه وأبيه بحكم العادة لا يكلم احد ولا يهني ولا يعزي .. إلى قاعة الأفراح التي من المقرر لها أن تستقبل زفاف طارق وعزاء عزة دخل إلى القاعة مطرقا يحمل على عاتقه جبالا من الهموم فما دفعه غير الرحم هو رؤية غزالته من قبل أن تدخل إلى عرين الأسد

أدركته في دخوله كل العيون فحاز من شفقتهم الكثير وآخرون دفنوا رءوسهم تحت التراب لعدم تعزيته ولو بالهاتف فأقبل عليه جمعا غفيرا يعزونه ظانين أنهم يحملوا بذلك بعض همومه

وبعد الكثير من العناء والمجاملات فر منهم جميعا وخلا بنفسه على طاولة منزوية في مفتتح القاعة ولكن الموسيقي الصاخبة كانت تقتحمه اقتحاما فيأس من الهدوء بعد أن تمنى أن يفتح له قبر ليقضي فيه أيامه بعيدا عن كل شيء رفع رأسه من على الطاولة في استسلام لصوت الصخب المتزايد بجنون لدخول العروسان

فالتقطتها عيناه من بين الجموع وهي ترتدي الفستان الأبيض الطويل وعلى رأسه غطاءه الأبيض ومن تحته ترى وجهها أو لا تراه من كثرة الزينة فعل الزينة تخفي لهيب حزنها وتعلن قليلا من السرور

تتكلف البسمة وهي تمشي جوار طارق وقد صف الحضور على خطين ومن بينهم ممرا ضيقا للعبور تبحث من بين الحضور هنا وهناك عنه فقد سلمته الدعوة بيدها ولكن لم تجد منه شيئا إلا قلبها المضطرب الذي لا يخطئه يوما

فهو في أول القاعة يجلس وحيدا حتى لمحته أعين بعض الأقارب وهم يعرفون ما وقع به من ضيق فسحبوه لمكان يحسن به رؤية من تأخر

مجيئهم سيري يا عزيزتي سيري إلى أين ؟ أ إلى قراره الهواة ؟ وفما أقبحك أيها السارق ؟ ... سلبت منها قلبها فما أحوجها إليكما معا

ارتاعت عيناها اللامعتين واهتزا مكانهما كما اهتزاز بيتين على وشك السقوط كل ذلك لما لمحت طيف له بالمكان فتثاقلت قدماها شيئا فشيئا حتى انهار معمارها وهوت أرضا لما التقط أعينهما

وأفسد كل شيء فالكل في حالة هرج لا يدرون ماذا يفعلون للعروس المطروحة أمامهم انحنى طارق ليحملها فكأن لمسات أنامله لجسدها الصغير لها وقع الصواعق فهي ترتجف بشدة ... فابتعد عنها قليلا

وأسرع إليها من أتى معها من أقرانها وتداركوا الموقف وبعد نصف ساعة استعادت عزة كامل وعيها وكاد فيها عقل فارس أن يجن

جلست أخيرا بجوار طارق الذي همس بإذنها بحنق :

أتريد أن تفسدي علي يومي ؟

ثم استدعي الغضب :

لنا حساب حين يغلق علينا بابا وحدنا

لمست كلماته هوي مشاعر قد سعت في دفنها فكاد الدمع أن ينسكب من عينياها لولا حرصها فعدلت من وضعها لتوزع البسمات الكاذبة على الحضور حتى التقط أعينهما من جديد فأشرق وجهها رغم كل شيء وتحدث أعينهما فعيناها الذهبيتين تقول :

لم تركتني وحدي

لترد عينيه بخيبة :

ما باليد حيلة عزيزتي ... ولو تعلمي ما بي لدفنتني بين ضلوعك فصبرا جميل

هرب من عينيها بعيدا فشغله بعض الأقارب الذين لا تعرفهم إلا في المناسبات

وقف معهم كثيرا وأحاطوه فلا تبلغه عيناها

وبينما هو يسمر معهم بحديث عقيم إذ بطفل صغير لا تعطيه خمس سنوات يهز بنطال فارس

نظر فوجد الطفل فانحنى للطفل فرأى ملامحه والتي لا تختلف كثيرا عن ملامح فقيدته الغالية أمه أسماء احتضن الطفل بقوة وأخذ يمرر يده علي خصلات رأسه ولم يسأله عن أي شيء فقط اكتفي بالتأمل الطويل

قطعه الصبي وهو يشير له أن يتبعه فاستأذن منهم وترك لهم الحوار العقيم وانطلق خلف الصغير لا يعرف ما يدفعه أن يتبعه غير الفضول

خرج به من القاعة بأكملها فوصل إلى الطريق حيث لا أحد إلا فتاة يجهل معالمها على الجهة الأخرى للطريق

نظر إلى الطفل ليجده يشير إليها فنظر فارس إليها مستنكرا إذا به تشير إليه أن يدنو فدفعت به قدماه إلى هناك دون أن تستأذنه حتى

يقترب وتتضح معالمها أكثر فأكثر إنها فتاة يبدو أنها في الخامسة و العشرين من عمرها ترتدي عباءة سوداء لا تتماشي مع أجواء الفرح حجابها أنيق ووجهها ذو ملامح هادئة

وصل إليها أخيرا ولم تزل من على وجهه علامات الدهشة وهو ينظر إليها مستفهما فوجدها تغلق باب تساؤلاته :

إني عبير ابنه خالتك ... بالتأكيد نسيتني ... أخت عزة وأعلم بما كان بينكما لم تجد ردا غير عينان متسعتان فأكملت بتشفي :

أنى لك أيها الوغد المدعي الخلق

وأنت لست فيه من شيء

ما مصيرك يا سارق القلوب

أترى ما فعلته بتلك المسكينة ... انظر هناك ...

مشيرة إلى شاشة عرض تظهر صورة العروسان

أين ذهبت بسمتها التي سرقتها منها

في البداية قلت لها أنك تحبها ومن ثم أوقعتها في أسر حبك

وظلت ترسم لها بيتكما بعد الزواج وكم ستكون أجمل عروس

ومن ثم ... ومن ثم ماذا .. ؟

obeikandi.com

خدعتها ووعدها كما هو وعد الشيطان

أخلفت وعدك ووقفت تقول ما باليد حيلة

أي محتال هو أنت

وهل ستظن أن الله سيسامحك على هذا

لقد دمرت مستقبل عائلة

فهل كانت ستعرض عنه هكذا لو لم تكن أنت بقلبها .. ؟

ما أشبهك بسارق يأخذ شيئا لا يملكه

ومن ثم يدعي والوداعة والأمانة و بيد أني علمت أن السارق يقطع يده

أما تجار القلوب أمثالك ماذا يفعل بهم .. ؟

ظهر صوته أخيرا مقاطع إياها ومجيبا عليها وهو يزرف من الدموع الكثير والكثير وكأنه نهر جاري :

يحرم من قلبه ويظل طيلة حياته دونه ... فيعيش بلا عيش ... يتمني المنية في كل حركاته ولا يطول الموت حتى ... حتى ينتهي من دنيا لن يحمل منها زادا ... حرمني الله من جوهرتي قلبي دفعة واحدة زواج عزة وبعدها بدقائق وفاة أمي فأي عقاب أصعب من هذا وأراني هنا الآن لكي أعذب برؤيته يجلس جارها وأرها تنسب إلى غيري

سكتت برهة إذ صدمت بخبر الوفاة ولم تتحمل رؤية جبل كهذا ينهار ويئن أمامها كالرضيع فما أصبره ولكن هذا لم يشبع لهيب غضبها علي صديقتها فأكملت :

obeikandl.com

أتعلم أن عزة لا ترضي به حتى لحظتنا تلك ... ولم تفقد قلبها فحسب بل وعقلها كذلك

أرته صورة لسكين كبيرة فقال بعجب :

وما دخل هذا بذاك .. ؟

وأكملت:

تحمل معها تلك السكين لتقتله بها إن حاول أن يمسها

سكتت قليلا تأخذ أنفاسها من ثقل الكلمات فحتى لسانها ينوء بمثل هذا وتابعت وقد سقطت دمعة لها :

ليس هذا وفقط فهي ستتخلص من حياتها بعدها بنفس الطريقة تقول وما الحياة دونه إلا هباء

رفعت عيناها عليه إذ به منحني أرضا تسمع أناته الممتزجة بأدمعه :

لماذا ..؟ ... لماذا ..؟

عنفته قائله :

ألا تملك غيره ؟ ... فلتبكي كما الأطفال

لذا فأتركها وأرحل من حيث جئت

كما تركتها سابقا أيها الوغد

اهرب أيها السارق بما غنمت .. فلا سامحك الله أبدا

حاول الدفاع عن نفسه :

ولكني أحبها .. !

ضحكت بسخرية :

وكيف نفعها حبك .. ؟ أسينجيها حبك من طيش عقلها .. ؟

ثم أشاحت بوجهها بعيدا عنه إلى صورة عزة على شاشة العرض الكبيرة وأكملت : بل هو ما دفعها لذلك ...إن كنت حقا تحبها فعليك أن تقف أمام الكل بالداخل وتعلن ذلك على الجمع ولتعد معك إلى المدينة لا معه وهكذا تثبت حبك إن كنت تحبها حقا

انتظرت ردا ولكن ما من جواب إذ به يتأمل الفراغ دون أي رد ومن ثم تركها وعاد إلى الداخل مهرول فترى هل سيثبت ما بقلبه أمام الجميع أم سيكن فأرا جبانا ؟

دخل فارس القاعة من جديد وجلس بمكانه كأن شيء لم يكن تأمل العريس فوجد شعره يميل إلى البياض ووجهه وجه جندي لا يعرف الابتسام بصوت أجش وقامة متوسطة على ثغرة ابتسامة شماتة

فما أشبه اليوم بالبارحة فبالأمس أسماء لكامل واليوم عزة لطارق

أقبلت عليه خالته وسلمت عليه وقالت بحنق :

ألست رجل العائلة ... فلم لم تذهب لتبارك لعريس أختك ؟

رفع حاجبه رافضا نعتها فهي حتى لم تعزيه حتى في أختها ورغم ذلك تقر له مكانة بين رجال العائلة ومع ذلك ذهب معها إلى المكان المخصص للعروسين وسلم على طارق وعانقه وهو يهمس بأذنه :

قد أعطيتك أغلى تميمة لدي فلا تهينها وإلا ندمت

لم يفهم طارق من كلماته شيئا وتكلف الابتسام حتى ينتهي الموقف

وعندما أدرك عزة كي يبارك لها وجد رأسها أرضا ويدها ممدودة فارس باعتذار :

أسف لا أصافح النساء

هزت رأسها أي نعم وهي لازالت أرضا وبارك لها ثم انصرف على عجلة وغادر المكان بأكمله و عاد إلى بيته متخبط لا يدري ما فعل بالمسكينة ولا ما ستفعله هي بزوجها فهو يعلم عنها العزيمة والعناد

نظر إلى مكان يعرفه بعينه في حجرته .. خصصه لكتابه وقلمه .. فوجد هناك شيئا لم يره قبلا ورقة طويت وقد لطخت دمعا فما قويت على الوهن إلا أن لانت قناتها وفيها :

صديقي ... إني صديقك الوحيد

ما أدري كيف سبيلي إلى الاعتذار ولكن دعني أخبرك شيئا

لعله يحمل من قلبك بعض القسوة تجاهي

قد ثقلتني اللعنات أخ ذهب إلى مكب النفاية بلا رجعة

وأهل ينعوا همومهم بتربيتهم الأولى ويوجهون لي الأنظار في كل خطو

وليس ذاك وفقط فقد فقدت مهجتي دون الحيلة

و لك تعلم أن تعلم أن الصياد صار صيدا ثمينا و غدا هشا تذروه ريح الهوى و العشق

ولكن اللعنة ما طابت له حبا بل وأخذت منه مهجته وهنا أدرك الصياد معنى الهزيمة والضعف ما ألحقه قبلا بالمئات

لك مني التحية و الوعيد فاحذر اللعنات فهي مذهبات

ما أهمه من الأمر شيئا وما فزع فلم تكن اللعنة نصيب فهد وفقط وجلس كثيرا في غرفة موحشة بالظلام يطرح على نفسه سؤال عي له الرواسي :

وماذا بعد ؟

وبسرعة توجه أحد أعمدة المنزل و أمسك به بكلتا يديه و أخذ ضرب برأسه في الحائط مرة وأخرى و أخرى ناعتا نفسه بالملعون السمج ويسأل نفسه أن لماذا ؟

حتى هوى أرضا وتسيل الدماء من رأسه لتكن الحجرة بركة من الدماء فعلها نهايته كما أرادها أن تكون

مرت الساعات وهو أرضا بدمائه حتى فتح عيناه ببطء في مشفى ناداهما باسميهما موقن أنه قد أنتقل إلى عالم هما به

أمي ... عزة ... أنتم هنا

ولكن هيهات لك أيها الملعون

نظر فوجد المكان غير المكان ودخل إلى أذنه بعض الكلمات :

شاب كالبدر مثل هذا يحتجز بمصحة نفسية عجبا لهذا الرمان فكل من يأتي لزيارته يشهد له بالعقل والحكمة

هكذا تتسامر نسوة من الممرضات أمام غرفته ليقتلوا وقتهم بهذا المشفى وبينما إحداهن واقفة على سريره في صباح اليوم التالي وتتأمل ملامح وجهه بحنو مشيبا بالشفقة محاولة مواساته :

obeikandl.com

أيها الشاب الذي خضع لحكمتك الكثير أنى لك وقد فقدت صوابك هل هي الدنيا من حملتك ما لا تطيق أم أن العبث كان حاملك إلى هنا

هب فيها فارس غاضبا :

أغربي عني ... لا أحتمل منكم شفقة ... ما أريده قلما وبعض الأوراق

خلت الغرفة ثوان وجيزة وما هي إلا دقائق وقد أحضر إليه ما يشتهي

قلم .. !

وهل بقي له سواه بعدما هجره الجميع .. ؟

فتح الصفحة الأولى وكتب في منتصف السطر لعنة المختلس :

أخط إليكم اليوم بأدمع قلبي المكلوم

أثر الثقل الذي أصابه

أخط إليكم من مكان لا أعرف كيف أوصلني الحال إليه ؟

وأحكي إليكم ما كان وذنب كان في نظري صغير

خسرت به كل شيء فما عاد لي إلا ربي

فلا إله إلا أنت سبحانك إني كنت من الظالمين

وبدأ يسطر قصته من الصفر حتى ما انتهى به الحال ولم يضع لها نهاية بل ختمها بكلمات :

obeikandl.com

إلى أجل غير مسمى ستكتمل السطور

إلى أجل غير مسمى سيعرف الملعونان الهدى

إلى أجل غير مسمى ستكن للعنة نهاية

من سعى للموت ولكن الموت أبى وفر منه

فارس كامل

فما جزاء المختلس غير التيه كان له طريقا مغشي بالصبر

ومن صبر نال ومن تعجل حرم وعله يذكر ربه

(قُلْ هَلْ نُنَبِّئُكُمْ بِالْأَخْسَرِينَ أَعْمَالاً (103) الَّذِينَ ضَلَّ سَعْيُهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَهُمْ يَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ يُحْسِنُونَ صُنْعاً (104) الكهف

ولنترك فارس حتى يفق من غفوته وإني لأظنها ستطول

وكما قال فارس .. في الختام .. :

إلى أجل غير مسمى

وإلى اللقاء .

تمّت بحمد الله

obeikandl.com

يمكنك التواصل مع الكاتب من خلال ... :

https://www.facebook.com/ahmad.shaban204

obeikandl.com